جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ميسان / كلية التربية
قسم اللغة العربية

الحِلمُ في الشعر الجاهلي

دراسة في الشكل والمضمون الفني

رسالة تقدّمت بها الطالبة

ميسون جحف عبدالكريم الجابري

إلى مجلس كلية التربية - جامعة ميسان

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وادآبها

بإشراف

الاستاذ الدكتور

جبار عباس نعمة اللامي

١٤٤١هـ

٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾

صدق الله العلي العظيم

(ال عمران: ١١٠)

الإهـــداء...

إلى الرحمة التي نشأت تحت ظلها . . . أمي

الى العطاء الذي ارتويت من هطوله . . . أبي

إلى الحياة بكل جمالها . . . زوجي

إلى براعـم الأمل . . . أولادي

إلى الطيور في جناتها . . . أخواني

الباحثة

شكر وامتنان

الحمد لله الذي هدانا لحمده وجعلنا من أهله لنكون للاحسان من الشاكرين وليجزينا عن ذلك جزاء المحسنين إنّه سميع مجيب والصلاة والسل

ام على خير خلقهِ أجمعين محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين.

يطيب لي وأنا أطوي الصفحات الأخيرة من الدراسة أن أتقدم بوافر الشكر والتقدير لأستاذي الكريم المشرف على هذه الرسالة **(الأستاذ الدكتور جبـــــار عبـــاس نعمة)** لما أبداه من عناية ورعاية علمية وآراء وتوجيهات سديدة وقراءة مستفيضة أثمرت في اخراج العمل بشكله النهائي، وإني حظيت منه بوافر الجهد وسعة الصدر وكان لمتابعته المستمرة الأثر البالغ في إنجاز هذه الرسالة جزاه الله عني خير الجزاء فله مني كل الشكر والامتنان.

وعرفاناً بالجميل والوفاء أتقدم بوافر شكري وتقديري إلى رئاسة قسم اللغة العربية في كلية التربية–جامعة ميسان، واساتذتها وعلى رأسهم الاستاذ الدكتور **(علي عبدالرحيم)** والاستاذ الدكتور (خالد محمد صالح) والاستاذ الدكتور **(مولود محمد زايد)** والاستاذ الدكتور **(علي موسى الكعبي)**، لاهتمامهم المتواصل بطلبة الدراسات العليا، والذين مهدوا لي الطريق في تحصيل العلم والمعرفة.

أودّ أنْ أتقدم بوافر الاحترام والامتنان إلى الأستاذ الدكتور **(عبدالحسين طاهر)** لتقديمه النصح والإرشاد ومساعدته المتواصلة لرفد الدراسة بمعلومات قيمة، وأتوجه بالشكر إلى ملاك وموظفي مكتبة كلية التربية ومكتبة جامعة ميسان المركزية ومكتبة جامعة بغداد لتسهيل مهمتي للحصول على المعلومات والبيانات التي تخص الدراسة.

وأيضاً أتقدم بالشكر والإمتنان إلى زوجي الذي ساعدني وساندني طيلة فترة الدراسة ..

والله ولي التوفيق.

الباحثة

إقــرار المشـــــــرف

أشهد أنَّ أعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(**الحِلمُ فـي الشعر الجاهلي دراسة في الشكل والمضمون الفني**) تحت إشرافي في **كلية التربية – جامعة ميسان، قسم اللغة العربية**، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في **اللغة العربية وآدابها**.

التوقيع

الاسم : أ.د جبار عباس نعمة اللامي

التوقيع :

التاريخ :

/ /٢٠٢٠م

((إقرار رئيس القسم))

بناءً على توصية المشرف، أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

رئيس قسم اللغة العربية ـ كلية التربية

الاسم :

التاريخ : / / ٢٠٢٠م

إقـــرار المقوم العلـمي

أشهد أنّي قرأتُ الرسالة الموسومة بـ(**الحِلمُ فـي الشعر الجاهلي دراسة في الشكل والمضمون الفني**) التي تقدّمت بها طالبة الماجستير (**ميسون جحف عبدالكريم**) إلى **كلية التربية– جامعة ميسان**، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في(**اللغة العربية وآدابها**)، ووجدتها صالحة من الناحية العلمية.

التوقيع :

الاسم:

التاريخ: / / ٢٠٢٠م

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد أنّنا، اطّلعنا على الرسالة الموسومة بـ(**الحِلمُ في الشعر الجاهلي دراسة في الشكل والمضمون الفني**) التي تقدّمت بها طالبة الماجستير (**ميسون جحف عبدالكريم**)، في محتوياتها، وفيما له علاقة بها، ووجدنا أنّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في(**اللغة العربية وادابها**) بتقدير ( ).

التوقيع :

اللقب والاسم : أ.د عواد كاظم لفتة

رئيس اللجنة

التاريخ: / / ٢٠٢٠

التوقيع :

اللقب والاسم : أ.د عماد جغيم عويد

عضواً

التاريخ : / / ٢٠٢٠

التوقيع :

اللقب والاسم :أ.د جبار عباس نعمة

عضواً ومشرفاً

التاريخ : / / ٢٠٢٠

التوقيع :

اللقب والاسم: أ.د علي عبدالحسين حداد

عضواً

التاريخ : / / ٢٠٢٠

صدقت من مجلس كلية التربية / جامعة ميسان

التوقيع:

أ.د. هاشم داخل حسين

عميد كلية التربية

/ /٢٠٢٠م

فهرست المحتويات

الموضـــــــــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	أ-ب
التمهيد: الحلم لغة واصطلاحاً	١-٩
الفصل الأول القيم الخلقية في الشعر الجاهلي وتعالقها المضموني مع قيمة الحلم	١٠-٤٦
مدخل	١١-١٣
أولاً- الكـــــــرم	١٣-٢٠
ثانياً- الصبر	٢٠-٢٣
ثالثاً- الشجاعة	٢٣-٢٨
رابعاً- الوفـــــــــاء	٢٨-٣١
خامساً- العفة	٣٢-٣٥
سادســاً- العـــــــدل:	٣٥-٤٠
سابعاً- الحكمة	٤٠-٤٦
الفصل الثاني أنمـــــاط الحلـــــــــم	٤٧-٩٥
المبحث الأول: الحلـــم اقتـــدارا وتمكنـــاً	٤٨-٦٥
المبحث الثاني: الحلـــم بوصفـــه ضَعفـــــا	٦٦-٨١
المبحث الثالث: تنوع أبعاد الحلم بتنوع الغرض	٨٢-٩٥
الفصل الثالث الدراســـــة الفنيـــــــة	٩٦-١٣٧
المبحث الأول: مضامين الحلم من خلال خصائص اللغة الشعرية	٩٧-١٠٩
المبحث الثاني: فاعلية الصورة الشعرية في عرض مضامين الحلم	١١٠-١٢٢
المبحث الثالث: الإيقاع فاعلا في إيصال مضامين الحلم	١٢٣-١٣٧
الخاتمة والنتائج	١٣٨-١٣٩
المصادر	١٤٠-١٥٢
الملخص باللغة الانكليزية	A-D

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــــدمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين

وبعد . . .

لايزال الشعر الجاهلي –على الرغم من كثرة الدراسات – يرفدنا بمساحات ومناطق جديدة خصبة للدرس، فهو النصّ الذي حمل أحاسيس أمة كاملة ومشاعرها وقيمها لسنين طويلة ، والبحث فيه يستثير كوامن تلك الأحاسيس والقيم ؛ لذلك كانت دراسة القيم والأخلاق العربية انطلاقا من نصوص الشعر أمرا أساسياَ لمن يسعى للكشف عن مضامين تلك القيم وأبعادها، وانطلاقا من ذلك ورغبة منّي في الكشف عن قيمة مهمة – في حياة العربي في العصر الجاهلي – لها أثر في توجيه الحياة العربية ولها مركزية تتفرع منها معظم القيم العربية ، وهي قيمة الحلم؛ لذا جعلت دراستي بعنوان **(الحلم في الشعر الجاهلي دراسة في الشكل والمضمون الفني)** وفي ما يخص عنوان الرسالة فقد تناولت حالتين متلازمتين الحالة الأولى المضامين وأقصد بها المعاني والأفكار التي يتطرق إليها الشاعر الجاهلي وهو يصف هذه الفضيلة النفسية (الحلم) أما الحالة الثانية هي الشكل الفني وأقصد به العناصر الفنية المعبرة عن شعرية النصوص بما توفر لها من لغة طيعة وأسلوب وإيقاع بشكليه الداخلي والخارجي فضلا عن الصورة الشعرية التي نسجها خيال الشاعر الجاهلي وكلها قد تضمنته الدراسة التي نهجت فيها المنهج الوصفي التحليلي .

ومن الدراسات السابقة التي تناولت هذا المجال أطروحة دكتورا بعنوان الحلم والمواجهة بين الباعث والاستجابة للباحثة آلاء حسين داود الشرع ، وقد ركزت هذه الر الرسالة على بحث

الحلم من خلال نقطة معينة هي الباعث والاستجابة، وهناك دراسة أخرى للدكتور عبد الرزاق الدليمي وهي بحث منشور في مجلة المورد بعنوان الحلم في الشعر الجاهلي اقتصر فيه على نماذج محدّدة تشير إلى أهمية هذا الموضوع وإمكانية دراسته بشكل موسع .

وقد تكونت الدراسة من تمهيد وثلاثة فصول، فدرست في التمهيد مفهوم الحلم في اللغة والاصطلاح.

أما الفصل الأوّل فدرستُ فيه التعالق المضموني للقيم الخلقية مع قيمة الحلم وقد قدمت لهذا الفصل بمدخل عن الشعر الجاهلي وطبيعة القيم ،ثم أفردت كل قيمة بنقطة مستقلة تبين تعالقها مع قيمة الحلم ، فدرست قيم الكرم ، والصبر ، والشجاعة ، والوفاء ، والعفة ، والعدل، والحكمة .

أما الفصل الثاني، فقد درست فيه مضامين الحلم ، وجعلته ثلاثة مباحث: المبحث الأول درست فيه مضمون ورود الحلم بوصفه اقتداراً وتمكناً ، والمبحث الثاني درست فيه مضمون الحلم بوصفه ضعفا، والمبحث الثالث درست فيه تنوع أبعاد الحلم بتنوع الغرض.

أما الفصل الثالث، فقد خصصته للدراسة الفنية، وجعلته ثلاثة مباحث: المبحث الأول درست فيه مضامين الحلم من خلال خصائص اللغة الشعرية، والمبحث الثاني درستُ فيه فاعلية الصورة الشعرية في عرض مضامين الحلم ، وكان المبحث الثالث فاعلية الإيقاع في إيصال مضامين الحلم، ثم وضعت خاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث ، ومن المفيد الإشارة إلى أبرز المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي وتمثلت دواوين الشعر الجاهلي وشروحها، وكتب الأدب خاصة التي عرضت لجوانب من القيم الخلقية الشائعة في ذلك العصر، فضلا عن بعض الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة القيم العربية كدراسة

بوجمعة بوبعيو، جدلية القيم في الشعر الجاهلي، ودراسة محمد فؤاد نعناع الجود والبخل في الشعر الجاهلي، ودراسة عبد الغني أحمد زيوني ، الإنسان في الشعر الجاهلي

ولا تخلو هذه الرحلة من بعض الصعوبات التي تمثلت في تشتت المادة في مساحة واسعة من الدواوين يتطلب استخراجها وعرضها للدرس وقتاً وجهدا كبيرين فضلاً عن صعوبة شرح أو تفسير لكثير من الأبيات الجاهلية مما اضطرني للعودة إلى بعض المعاجم العربية لمعرفة معانيها.

وختاما أتقدّم بالشكر إلى مشرفي الاستاذ الدكتور(جبار عباس اللامي) الذي قدّم التوجيه والنصح والارشاد على الرغم من الظروف الصعبة التي واجهها ، فكان الاستاذ الناصح والمربي الموجه ، فله منّي جزيل الشكر ، والشكر موصول إلى قسم اللغة العربية أساتذة ورئيساً لرعايتهم الأبوية ووقوفهم بجانب أبنائهم الطلبة ، كما أتقدم بالشكر للسادة رئيس لجنة المناقشة وأعضائها.

الباحثة

التمهـــــيد

التمهيـــــد

الحلم : لغة واصطلاحاً

أولا : الحلم لغة

يشير ابن فارس إلى أنّ الحاء واللام والميم لها أصول دلالية ثلاثة هي تركّ العجلة و تثقّب الشيء ورؤية الشيء في المنام ويقرر ابن فارس أنّ هذه الأصول متباعدة لا ترتبط برابط دلالي يمكن إرجاعها إليه[١] ويرى أبو سعيد السيرافي وجود تعالق دلالي بين أصول مادة الحلم ، فيقول: ((الحِلْم مشارك لمعنى الحُلُم؛ فصاحب الحِلم هو الذي يُعرض عما يرى ويسمع كالحالم، واللفظ إذا واخى اللفظ كان معناه قريباً من معناه، وهذا الخَلْق والخُلُق، والعَدْل والعِدْل))[٢] فأبو سعيد السيرافي يخالف ابن فارس في إمكانية إرجاع ما تفرع من مادة (حلم) إلى أصل دلالي واحد ، وهو جامع الإعراض عن الشيء.

وقد ذكر أصحاب المعجمات للحلم في ضوء معناه الذي نحن بصدد دراسته معاي عدة، يقال : حلُم الرجل يحلُم والحلم ضد الطيش[٣] وقيل هو الأناة[٤] وقيل هو: ((ترك الإعجال بالعقوبة وتركُ الطيش))[٥].

---

(١) ينظر : معجم مقاييس اللغة ،أحمد ابن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر- القاهرة – ١٩٧٩م : (حلم) : ٩٣.

(٢) أخلاق الوزيرين ، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر- بيروت -١٩٩٢م : ٣٠٧ .

(٣) ينظر :جمهرة اللغة ، : ابن دريد (٣٢١هـ) ، رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت - ١٩٨٧م (حلم) :٥٦٥.

(٤) ينظر :تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٨٧م : (حلم) :١٩٠٣.

(٥) مجمل اللغة ، أحمد ابن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة – بيروت-١٩٨٦م : (باب الحاء واللام وما يثلثهما) :٢٤٦.

وقيل الحلم عند العرب هو العلم [١] وقيل معناه الصفح والستر[٢] وتدور هذه الدلالات المعجمية حول صفات محدده يتصف بها الحليم صفات تمكنه من ضبط النفس وعدم الاستعجال؛لأن الحلم ضد الطيش ، وترك الاعجال بالعقوبة والصفح والستر كلها تتطلب مستوى عاليا من ضبط النفس كذلك تفسير الحلم بالعلم له تعالق مع ضبط النفس فالذي يعلم بعاقبة التصرفات وتداعياتها يدفعه ذلك إلى ضبط النفس.

ذكر أصحاب المعاجم بعض المرادفات لمادة الحلم تضيف شيئا من الأبعاد الدلالية لهذه المادة ومن تلك المرادفات(الجثّامة)، والجَثَّامة هو السَّيِّد الْحَلِيم [٣] ودلالة الجثامة تتعالق مع دلالة الحلم في عدم التحرك والسكون ، فالحلم يتطلب عدم التحرك ومجاوبة الفعل بمثله، فهذه المرادفة توسع في أبعاد الحلم لتصوّر الحليم بصورة الجاثم بشكل مبالغ فيه، وهذا الجثوم يكون عند مواجهة الجاهل والتعرض لأ شد أنواع الاستفزاز .

ومن المرادفات الأخرى كلمة(الزمّيت) فالزِّمِّيتُ الحليمُ[٤] ومن دلالات الزميت السكوت[٥] والوقار[٦] والسكون[٧] وهذه الأبعاد الدلالية تسهم كذلك في رفد التصور الدلالي الدلالي حول طبيعة الحليم، فالسكوت والوقار والسكون أمور لازمة لشخصية الحليم.

---

(١) ينظر : التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، تحقيق : الدكتور عزة حسن- دار طلاس – دمشق ط٢- ١٩٩٦م : ٩٨.

(٢) ينظر :المصباح المنير ، أحمد بن علي الفيوم (٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية – بيروت د.ت . (حلم) : ١٤٨.

(٣) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيد (ت: ٤٥٨هـ)تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ٢٠٠٠ م (جثم): ٣٧٥.

(٤) المصدر نفسه (زمت): ٢٥.

(٥) ينظر : تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق :محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت - ٢٠٠١م .(زمت): ١٢٩.

(٦) ينظر : تاج اللغة وصحاح العربية (زمت): ٢٥٠.

(٧) ينظر : المحكم والمحيط الأعظم (زمت) : ٢٥.

تشير كلمة(صُرعة) إلى نقيض مدلول الحلم، فالصُرَعة هو الْحلِيم عِنْد الْغَضَب [١] والرجل الصُرعة هو الذي يصرع الناس لشدته وقوته[٢] وبذلك تضيف هذه الكلمة في استعمالها بمعنى الحليم أبعاداً أخرى لشخصية الحلم وهي أبعاد دلالية ذات فعل حركي يشير إلى لحظة المواجهة مع الموقف الذي يقتضي حلما ليكون الحلم كالرجل الشديد الذي يصرع الناس بقوة حلمه.

نجدهم ذكروا أنّ كلمة الوديع تأتي بمعنى الرجل السَّاكِن الْحَلِيم[٣] ودلالة الوداعة تضيف إلى أبعاد الحلم، والهدوء والبساطة واللاعنف التي هي من لوزم صفة الحليم.

ومن المفردات الأخرى التي استعملت للدلالة على الحلم كلمة(ممرث)، فقد يسمّى الرجل الحليم ممرثاً ، والممرث الرجل الصبور على الخصام[٤] فهذه المفردة تضيف إلى الحلم بعدا آخر وهو بعد الصبر وضبط النفس عند لحظة الخصام.

استعملت كلمة(الخنذيذ) بمعنى السيد الحليم ولهذا الكلمة استعمالات عديدة قال ابن الأعرابي:((الخنذيذ الشَّاعِر الْمجِيد والخنذيذ الشجاع والخنذيذ السخي التَّام السخاء والخنذيذ الْخَطِيب المصقع والخنذيذ السَّيِّد الْحَلِيم والخنذيذ الْعَالم بأيام الْعَرَب وأشعارهم))[٥]،

---

(١) المخصص (صرع): ٣٥٠.

(٢) ينظر : شمس العلوم نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية) : ٣٧١٥/٦.

(٣) اكمال الأعلام بتثليث الكلام ،محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني(ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : سعد بن بن حمدان الغامدي ، جامعة مكة المكرمة – أم القرى -١٩٨٤م : ٧٥٠/٢ .

(٤) جمهرة اللغة (مرث): ٤٢٣.

(٥) العشرات في اللغة ،محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥هـ) ، تحقيق ، يحيى يحيى عبد الرؤوف جبر ، المطبعة الوطنية – عمان : ١٠٨ .

وهذا التعدّد الدلالي يمنح استعمال كلمة الحلم أبعاداً أخرى عن طريق استحضار ما لكل استعمال من صفات تتعلق بالحلم.

نلحظ أنّ تلك المرادفات بما لها من خصوصية دلالية أضافت أبعاداً أخرى تسهم في استيفاء ملامحها جميعاً.

ثانياً : الاصطلاح

لم يخرج التعريف الاصطلاحي عن إطار المدلول اللغوي، إذ لم يفصل الاستعمال هذه الكلمة عن جذرها الدلالي ، ولم يبتعد بها كثيراً عن مدلولها المعجمي، سئل الإمام على عليه السلام عن الحلم فقال : ((الحلم والأناة توأمان ينتجهما علوّ الهمة))[١]، وعلو الهمة يحتاج درجة عالية من ضبط النفس ، وقيل لقيس بن الأحنف ((ما الحلم؟ قال: الرضاء بالذل))[٢] وهذا الرضا من أجل دفع شيء أعظم أيضا يحتاج لقدر من ضبط النفس المؤطر بالحكمة ، وقال بعض الحكماء ((الحلم عدّة للسفيه، وجنّة من كيد العدو، وإنك لن تقابل سفيها بالإعراض عن قوله إلّا أذللت نفسه، وفللت حدّه))[٣] وقال الحكيم ((الفرق بين الحلم والعجز أن الحلم لا يكون إلا عن قدرة، والعجز لا يكون إلا عن ضعف؛ وليس للعاجز أن يسمى بالحليم وهو عاجز))[٤] وقيل: ((الحلم تجرع الغيظ، وقيل: الحلم دعامة العقل وقال الأفوه الأودي: الحلم محجزة عن الغيظ. وقيل: ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء ، الراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ) ، دار الأرقم بن الأرقم –بيروت – ١٩٩٩م :١ /٢٧٨.

(٢) نثر الدر في المحاضرات ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ) ، تحقيق : خالد عبد الغني محفوظ ، دار الكتب العلمية – بيروت- ٢٠٠٤م :٥ /٣٣.

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب ، الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ) ، دار الجيل – بيروت- د.ت :٤ /١١٤٥.

(٤) البديع في نقد الشعر،أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) تحقيق : أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ، الجمهورية العربية المتحدة – الاقليم الجنوبي د.ت :٢٧٢.

انتصر ولكن الحليم من ظلم فحلم فإذا قدر غفر))[١] وعرف الشريف الجرجاني الحلم بأنه : ((الطمأنينة عند سَوْرة الغضب، وقيل: تأخير مكافأة الظالم))[٢] ويعرفه أبو حيان بأنّه((ضبط الفكر بكفّ الغضب))[٣] وعرفه الثعالبي بأنّه حجاب الآفات[٤].

ويفرق الغزالي بين الحلم وكظم الغيظ ، فيعطي الحلم مدلولاً أوسع ، فيقول((اعلم أن الحلم أفضل من كظم الغيظ لأن كظم الغيظ عبارة عن التحلم أي تكلف الحلم ولا يحتاج إلى كظم الغيظ إلا من هاج غيظه ويحتاج فيه إلى مجاهدة شديدة ولكن إذا تعود ذلك مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وإن هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي))[٥]، فالحلم على وفق مفهوم الغزالي يكون طبيعة لا تكلفا، وأن هذه الطبيعة من الممكن تكوينها عن طريق المداومة والاستمرار على تكلف الحلم .

وهذه التعريفات والمفاهيم حول الحلم وإن تنوعت لم تبتعد عن الأصل الدلالي المعجمي للمادة ، فتوسع مفهوم الحلم بقى دائرا حول نواة الأصل المعجمي ، وبقي متعالقا مع مفهوم ضبط النفس المقترن بالحكمة ،وهذا المفهوم وإن أمكن إرجاعه إلى أصل واحد لكن تطبيقاته على ارض الواقع تتوسع وتمتد بتنوع المقام والظروف وطبيعة الحياة العربية في العصر الجاهلي وهذا ما سيتضح عند عرض تجلياته في الشعر الجاهلي.

---

(١) محاضرات الإدباء ومحاورات البلغاء والشعراء :٢٧٨/١.

(٢) التعريفات ، الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت - ١٩٨٣ م :٩٢.

(٣) الامتاع والمؤانسة ، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) ، المكتبة العصرية – بيروت -١٤٢٤هـ :٣٦٢.

(٤) ينظر: التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب – ط٢-١٩٨١م :٤١٣.

(٥) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت د.ت : ٣ /١٧٦.

فضلا عن تلك الدلالات والمفاهيم ورد ذكر الحلم في القرآن الكريم وهذا الورود في القرآن أكسبه دلالات إضافية خاصة عندما جاء وصفا للذات الالهية ، وقد جاء ذكر الحلم في القرآن صفة للمخلوق وصفة للخالق ، وفي وروده صفة للمخلوق بقى دائرا ضمن دلالات وروده في لغة العرب ، فوصف الحق تعالى النبي شعيب ' بالحلم في قوله : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ (١)

وفي تفسير الحليم هنا ثلاثة أوجه ((أحدها: أنهم قالوا ذلك استهزاء به ، قاله قتادة. الثاني: معناه أنك لست بحليم ولا رشيد على وجه النفي ، قاله ابن عباس. الثالث: أنهم اعترفوا له بالحلم والرشد على وجه والحقيقة))(٢) والقول بحقيقة الحلم هنا معناه ((الذي لا يحمله الغضب أن يفعل ما لم يكن ليفعله في حال الرّضى))(٣) فهو موافق لدلالته في استعمال العرب ، ووصف الله تعالى إبراهيم بالحليم في قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ (٤)،فوصفه الله ((بأنه حليم، لأن أحد أسباب الحلم رقة القلب، وشدة العطف لأن المرء إذا كان حاله هكذا اشتد حلمه عند الغضب))(٥) فجاء وصف النبي إبراهيم بالحلم في سياق ترك استغفاره لأبيه بعد تيقنه من كفره ((وصفة اللطف في هذا المختزن هي مأخذ الصبر في

---

(١) [هود: ٨٧] .

(٢) النكت والعيون ،أبو الحسن الماوردي (٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت د.ت :٤٩٦/٢.

(٣)الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ـ١٩٦٤م :١٥ /٤٥٠.

(٤) [التوبة: ١١٤] .

(٥) مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد فخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت- ١٩٩٩م :١٦ /١٦٠.

التركيب ، ويقاس العقل بالأناة والتثبت والصبر أي عدم التعجل))[1] فالصبر على حقيقة كفر والده داخله ضمن دلالة الحلم العامة.

وجاء وصف البشر بالحلم في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[2]، فمعنى أحلامهم هنا :عقولهم وألبابهم [3] والحلم والعقل من باب واحد ((من حيث المعنى، لأن العقل يضبط المرء فيكون كالبعير المعقول لا يتحرك من مكانه، وهو أيضا سبب وقار المرء وثباته))[4].

وصف الحق ابن النبي إبراهيم بالحليم فقال: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾[5] ،ووصفه هنا بالحلم وهو صغير نظرا لما سيكون في المستقبل فبشره ((بالولد وبأنه ذكر يبلغ أوان الحلم، فإن الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليماً وأي حلم مثل حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح وهو مراهق فقال سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ))[6] فصفة الحلم هنا تتشرب دلالة الصبر والعقل ،فالتسليم لأمر الله والصبر على هوله وشدته الآجلة طلبا للعاجل يجمع بين الصبر والعقل ، فكان جوابه لأبيه عند الامتحان هو (أفعل ما تؤمر) فكان ((به من كمال

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم ، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة- ٢٠١٠م :٤٨٧.

(٢) [الطور: ٣٣] .

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم جار الله الزمخشري(٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت - ١٤٠٧هـ :٤/ ٤١٣.

(٤) مفاتيح الغيب :٢٨ /٢١٣.

(٥) [الصافات: ١٠١] .

(٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت :٥ /١٥.

الحلم وفسحة الصدر ما قواه على احتمال تلك البلية العظيمة، والإتيان بذلك الجواب الحسن))[1].

وورد الحلم كذلك صفة لله ´ في مواطن عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[2] ، وفي قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[3] ، وقوله سبحانه: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[5] ، وقوله : ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾[6]، والحلم عندما يكون صفة لله تتوسع دلالاته ، فدلالة الحلم تتعلق بمقام الربّوبية، فالله الحليم ((هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ، ثم لا يستفزّه غضب ، ولا يعتريه غيض ، ولا يحمله على المسارعة على الانتقام ، مع الاقتدار عجلة وطيش))[7] وكل من لا يعاجل بالعقوبة يسمى حليما[8] لكن لكل نصيبه من المعنى الذي يليق ، فنصيب فنصيب البشر من صفة الحلم بقدر ما يليق بمقامه [9] فالحليم بوصفه صفة لله يكتسب دلالات تتعلق بمقام الربوبية ، وبذلك تتميز عن دلالة هذا الاسم عندما يكون صفة للبشر.

نلحظ أن دلالة الحلم في المعجم والمصطلح والقرآن تدور في دائرة واحدة ، فلا يوجد تباين كبير في المفاهيم والأبعاد الدلالية بل يمكن إرجاعها كلها إلى أصل واحد يجمعها.

---

(١) مفاتيح الغيب :٢٦ /٣٤٦ .
(٢) [البقرة: ٢٢٥].
(٣) [آل عمران: ١٥٥].
(٤) [النساء: ١٢].
(٥) [الحج: ٥٩].
(٦) [التغابن: ١٨].
(٧) المقتصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ) تحقيق : سام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص-١٩٨٧م :١٦٨.
(٨) ينظر : تفسير أسماء الله الحسنى ، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ، تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ،د.ت :٤٥.
(٩) المقتصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى :١٦٨.

الفصل الأول

القيم الخلقية في الشعر الجاهلي وتعالقها المضموني مع قيمة الحلم

أولاً: الكـــــــــرم

ثانياً: الصبـــــــــر

ثالثاً: الشجاعـــــــة

رابعاً: الوفـــــــــاء

خامساً: العفـــــــــة

سادســاً: العـــــــدل

سابعاً: الحكمـــــــة

مدخـــــــــل:

الشعر الجاهلي وطبيعة القيم

اتصف الشعر العربي في العصر الجاهلي بطبيعة إعلامية لما له من قابلية الحفظ والبقاء وهذه الصفة نابعة من طبيعة بنائه الفني، ذلك البناء الذي قصده العرب تكوينه منذ اللحظة الأولى لولادة جنس الشعر العربي، تلك الولادة التي رافقتها الحاجة لجنس فني صالح للبقاء والانتقال فلما((رأت العرب المنثور يند عنهم ويتفلت من أيديهم ولم يكن لهم كتاب يتضمن أفعالهم تدبروا الاوزان والأعاريض فأخرجوا الكلام أحسن مخرج بأساليب الغناء))[١] يقول أبو عمرو بن العلاء: ((كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم))[٢] فالشعر هو السلاح الإعلامي الأقوى بيد القبيلة لذلك((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم))[٣] فالشعر على وفق ما تقدم هو الناقل الأقوى لثقافة العربي ،فهو يخلد المآثر وينقل العادات والتقاليد، ويصور المواقف والحروب ، وبالعموم هو مصور أمين لحياة العرب السياسية والاجتماعية بأدق تفاصيلها ، يقول ابن سّلام((كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون))[٤] فهو((ديوان الأدب، وفخر

---

(١) الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني(٤٠٥هـ) ،تحقيق : لدكتور محمد زغلول سلام، سلام، منشأة المعارف- الإسكندرية د.ت :١٩.

(٢) المصدر نفسه :١٦١.

(٣) العمدة في محاسن الشعر، بن رشيق القيرواني (٤٦٣ هـ) تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد – دار دار الجيل – بيروت -١٩٨١م : ١/ ٦٥.

(٤) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي(٢٣٢هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر،دار المدني – جدة د.ت :١/ ٢٤ .

العرب، وبه تضرب الأمثال، ويفتخر الرجال على الرجال، وهو قيد المناقب ونظام المحاسن، ولولاه لضاعت جواهر الحكم، وانتثرت نجوم الشرف، وتهدمت مباني الفضل، وأقوت مرابع المجد، وانطمست أعلام الكرم، ودرست آثار النعم))[١] فالعرب حفظت مآثرها ((وأخبار أوائلها ومذكور أحسابها ومستحسن أفعالها ومكارمها بالشعر الذي قيل فيها ونقلته الرواة عن شعرائها ولولا الشعر ما عرف جود حاتم طي وكعب بن مامة وهرم ابن سنان))[٢] فكان الشعر ينقل من ضمن ما ينقله القيم الخلقية ؛ لذلك كانوا يوصون بتحفظ الشعر قال سليمان ابن عبد الملك لمؤدّب ولده: ((علمهم الشعر يمجدوا وينجدوا))[٣]، والشعر يصور الحياة الاجتماعية للعرب فالأدب (لا يكون أدبا إلا في ظل شروط اجتماعية محددة ، فالأديب المنتج للعمل الأدبي هو في البدء، والختام فاعل اجتماعي أخر والنسق العام الذي يحتضن هذه العملية يظل هو المجتمع بفاعلياته وأنساقه الفرعية الأخرى))[٤] والعرب أمة ذات نظام قبلي جماعي يحركها الضمير الاجتماعي وهو((مجموع القيم والمعتقدات المشتركة))[٥] وهذا الضمير الا جتماعي يتجلى في روح الفخر بالانتساب إلى القبيلة والتخلق بقيمها وعاداتها كالشرف والكرم والإباء والشجاعة وغيرها، وهذه المفاخر أكثر ما تتجلى في الشعر الذي يمثل الأداة الاعلامية الأكثر تأثيراً .

(١) نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي (٦٥٦هـ) ،تحقيق :نهى عارف الحسن ،مجمع اللغة العربية – دمشق د.ت :٢٩٣.

(٢) نقد النثر، قدامة بن جعفر بن قدامة (٣٣٧هـ) ،دارالكتب العلمية – بيروت -١٩٨٠م :٧٩.

(٣) نقد النثر : ٨٠.

(٤) علم اجتماع الأدب منهج سوسيلوجي في القراءة والنقد ، أنور عبد الحميد الموسي، دار النهضة العربية د.ت : ١٨ .

(٥) المصدر نفسه :٥٠.

كان من ضمن ما نقله الشعر عن العرب هي القيم الخلقية والعرب أمة أخلاق ،فالأخلاق تجري فيها مجرى العادات الوراثية [١] وتجتمع كل تلك القيم تحت مفهوم المروءة ((وقد فسرت المروءة بأنها كمال الرجولة، ومن المروءة: الحلم، والصبر، والعفو عند المقدرة، وقرى الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف، فإذا تمثلت أمثال هذه السجايا في رجل، كان كاملًا))[٢] فكان الشعر بصفته الإعلامية ناقلا لتلك القيم ومخلدا لها ، وهذه القيم لم تكن منعزلة بعضها عن بعض ،فكانت متعالقة متآزرة لها وظيفة التكامل فيما بينها ، والحلم بوصفه أحد القيم الأساسية كان له تداخل وتعالق مع القيم الأخرى، وسنعرض نماذج من هذا التداخل.

أولاً- الكـــــرم :

كان الكرم في مقدمة القيم التي يجب أن يتحلى بها العربي[٣] فلم ((تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، وقد بعثتها فيهم حياة الصحراء القاسية وما فيها من إجداب وإمحال فكان الغني بينهم يفضل على الفقير، وكثيرا ما كان يذبح إبله في سنين القحط، يطعمها عشيرته، كما يذبحها قرير العين لضيفانه الذين ينزلون به أو تدفعهم الصحراء إليه))[٤] فالضيافة والكرم أحد الدروس التي تعلم أن الإنسان مهما كان فقيرا ((عليه أن يقدم ما عنده لمن يأتيه من ضيف قريب أو غريب ليضيفه، إنقاذًا لحياته من قحط البادية ومن شحها، فليس في البادية ملجأ يلجأ الفرد إليه غير الخيام المضروبة هنا وهناك))[٥] ولا تقتصر قيمة الكرم على

(١) ينظر : تاريخ آداب اللغة العربية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي – القاهرة د.ت : ٣ /٥٥.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد على ، دار الساقي – بيروت ط٤ -٢٠٠١م ، ٨/ ١٧٥.

(٣) في تاريخ الأدب الجاهلي ، علي الجندي ، مكتبة دار التراث - القاهرة -١٩٩١م :٦٩ .

(٤) تاريخ الأدب العربي شوقي ضيف ١ /٦٨.

(٥) تاريخ الأدب العربي: ١٦٦/١.

على بذل الطعام ومساعدة المحتاج بل قد تشمل عموم القيم الحسنة التي يتخلق بها العربي ، من ذلك تجنب الشماتة لمن زلت قدمه إذ يعد ذلك من الكرم[١] فالكرم مفهوم ((شامل لكل المناقب التي تشكل نقيضا للخصال الوضيعة ، والتي ينتظرها المرء من إنسان ذي أصل نبيل وخصال حميدة مثل الجود، والشجاعة، والصبر، والعناية بالجيران، وحماية العرض، ومنع الظلم، والصفح))[٢] فالحلم يدخل ضمنا تحت قيمة الكرم.

أصبح الكرم جزءا مهما من حياة العربي ؛لذلك نجده يأخذ حيزا كبيرا في الشعر الجاهلي فنجدهم يجعلون هذه القيمة أساسا راسخا في المدح يقول أمية بن أبي الصلت [٣]:

وافـــــــر

كـــــريمٌ لا يُغيـــــره صـــــباحٌ عـن الخُلـقِ الكـرِيم ولا المسـاءُ
فأرضُـــك كـــلّ مكرمـــةٍ بنتهـــا بَنـــو تَـــيم وأنـــتَ لهـــم ســـماءُ

نلحظ أن الشاعر جعل الكرم الصفة المركزية في المدح ،وأعطاها صفة الديمومة فهي لا تتغير بتغير الأوقات ، ثم يصور الممدوح بأنه سماء لأرض المكرمة ،وبذلك لاتكون صفة الكرم صفة فردية منعزلة بل تمتد وتتفاعل مع الأرض والعشيرة ،فالكرم بأعلى تجلياته يكون صفة متوارثة لا تنقطع بموت صاحبها بل تنتقل في أبنائه كما ورثها هو من أجداده ، ونلحظ في وصف الشاعر للممدوح بثبات الكرم في كل الأحوال والأزمان تضمنا لصفة الحلم، فكرمه المبذول للجميع في كل الأحوال يحتاج صبر وضبط للنفس فيما قد يعتريها من تعكر قد يذهب بتلك القيمة.

---

(١) الامثال لابن سلام ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ) الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ١٩٨٠م: ١٦٠.

(٢) الجود والبخل في الشعر الجاهلي، محمد فؤاد نعناع ، دار طلاس – دمشق -١٩٩٤م:٣١.

(٣) أمية بن أبي الصلت حياته وشعره ، بهجة عبد الغفور الحديثي ، هيأة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي -٢٠٠٩م . ١٥٠

يقول أمية بن أبي الصلت في مدح عبد الله ابن جدعان[١]:

مجزوء الكامـــــل

ذَكـــرَ ابـــن جـــدعانٍ بخيـــ ر كلمـــا ذَكـــرَ الكـــرامُ
مَـــن لا يخـــونُ ولا يعـــ قّ ولا تغيـــرهُ اللئـــامُ

فابن جدعان من جملة الكرام ومن صفات هذا الكريم عدم الخيانة وعدم التغير عند مواجهة اللئام، وما يحملونه من صفات سيئة، وعدم التغير في مواجهة اللئام هو نوع من الحلم، وقد أدخل الشاعر هذه الصفة ضمن صفة الكرم، ويقول ابن خذاق العبدي[٢]:

وافـــر

وَجَـــدْتُ أبِـــي قَـــدْ أوْرَثَـــهُ أبُـــوْهُ خـــلَالًا قَـــدْ تُعَـــدَّ مِـــنَ المَعَـــالِي
فَـــأكْرَمُ مَـــا تَكُـــونُ عَلَـــى نَفْسِـــي إذَا مـــا قَـــلَّ فـــي الأزمَـــاتِ مَـــالي
فتَحْسُـــنُ سِـــيْرَتي وَأصُـــوْنُ عرضِـــي وَتَحْمِـــلُ عِنْـــدَ أهْـــل الـــرَّأي حَـــالِي
وَإنْ نِلْـــتُ الغِنَـــى لَـــمْ أغْـــلُ فِيْـــهِ وَلَـــمْ أخْصـــصْ بِجَفـــوَتِي المَـــوَالِي

فالشاعر هنا يصوّر الكرم صفة أصيلة متوارثة فيه، ثم يقرر أن هذا الكرم أكثر ما يتجلى في الأزمات، والكرم في الأزمة والضيق هو أعلى مراتب الكرم ، وهذا النوع من الكرم

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت: ٢٧٥.

(٢) الأمالي ، أبو علي القالي (٣٥٦ هـ)، تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ،دار الكتب المصرية، ط٢ - ١٩٢٦م، ج٢ :٢٠٣، ويزيد بن خذاق العبدي شاعر جاهلي، ينظر: معجم الشعراء:٤٦٩.

يلتقي مع الحلم عند نقطة ضبط النفس وتعويدها على القيمة الخلقية حتّى في أصعب الظروف كما يتضح ذلك في قول عمرو بن الأهتم[1]:

طويل

وإنّي كريمٌ ذُو عِيالٍ تهِمُّنِي ... نَوَائِبُ يَغْشَى رُزْؤُها وحُقُوقُ
ومُسْتَنْبِحٍ بعدَ الهُدُوءِ دَعْوَتُهُ ... وقد حانَ من نَجْم الشِّتاءِ خُفُوقُ
يُعالِجُ عِرْنيناً* منَ اللَّيلِ بارداً ... تَلُفُّ رِياحٌ ثَوْبَهُ وبُرُوقُ
تَأَلَّق في عَيْنٍ منَ المُزْنِ وادِقٍ ... لهُ هَيْدَبٌ دَانِي السَّحَابِ دَفُوقُ
أَضَفْتُ فلم أُفْحِشْ عليهِ ولم أَقُلْ ... لأِحْرِمَهُ إنَّ المكانَ مَضِيقُ
فَقلْتُ له أهلا وسهلا ومَرحباً ... فهذا صَبُوحٌ راهِنٌ وصَدِيقُ
وقُمتُ إلى البَرْكِ الهَواجِدِ فاتَّقَتْ ... مَقاحِيدُ * كُومٌ كالمَجَادِلِ رُوقُ
بأَدْماءَ مِرْباعِ النِّتاجِ كأَنَّها ... إذَا عَرَضَتْ دُونَ العِشارِ فَنِيقِ

فالشاعر على الرغم من كونه ذا عيال لم يتحرج من ذلك الضيف الوافد بعد هدوء أي بعد وقت متأخر، وما يمتاز به من برد، فتقبله بأوسع صدر ولم يسمعه كلمة جارحة ،ووسع له المكان على الرغم من ضيقه وازدحامه بالعيال في ذلك الوقت المتأخر ، فقدم له الأكل والشراب والرفقة والصداقة، ثم قام إلى الإبل التي وصفها بالهواجد – ليشير إلى تأخر الوقت – فاختار أكرمها وهي الأدماء مرباع النتاج ليقدمها إلى ضيفه، وهكذا يحقق العربي واجب الضيافة تحت أي ظرف وفي أي وقت، لقد صور الشاعر الكرم في أعلى مراتبه ذلك عندما تكون الظروف والوقت غير مناسبين، ومظنة لتخلي الانسان عن تلك القيمة ، لكن الشاعر كان على مستوى عال من ضبط النفس وترويضها من أجل الإيفاء بمتطلبات تلك القيمة

(١) المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (١٦٨هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، دار المعارف – القاهرة د.ت :١٢٦.

(*)عرنين كل شيء أوله /جمهرة اللغة (عرن): ٢١٦٣.

(*) المقحاد الناقة عظيمة السنام /جمهرة اللغة (حقد): ٥٠٤.

الخلقية، وهذا الضبط والترويض يتعالق مع صفة الحلم التي تتطلب ذلك المستوى من الضبط وترويض النفس.

ويقول بن حريم الهمداني[١]:

طويل

وَلَا يَسْــأَلُ الضَــيْفُ الغَريــبُ إذا شَــتَا بمَــا زخــرت قِــدْرِي لَــهُ حــينَ ودَّعــا

فَــإنْ يــكُ غَثَّــاً أَو ســمينا فــإنَّني ســأجْعلُ عيْنَيْــهِ لنَفْســهِ مَقْنَعــا

إذا حــلَّ قــومِي كنــتُ أوْســطَ دارِهــمْ وِلا أَبْتَغــي عنــدَ الثَّنيــة مطلعــا

فالضيف ينسى نوعية الطعام المقدّم لما يلقى من حفاوة الاستقبال ، وهذه الحفاوة تسلزم تجاوزا عن كل ماقد يصدر من الضيف فالضيف هو صاحب الفضل وهو المحق بكل ما يتصرف ، وهذا الخلق من قبل الكريم هو نوع من الحلم .

كذلك تتعالق قيمة الكرم مع قيمة الحلم في كون كليهما من صفات السيادة والزعامة في القوم يقول حاتم الطائي[٢]:

رجـــــــز

أنــا المفيــدُ حــاتمُ بــنُ ســعدِ أعطــي الجزيــلَ وأفــي بالعهــدِ

وشــيمتي البــذلُ وصــدق الوعــدِ وأشــتري الحمــدَ بفعــلِ الحمــدِ

أورثنــي المجــدُ بنــاةُ المجــدِ أبــي وجــدي حشــرجٌ ذو الوفــدِ

---

(١) الاصمعيات، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب (٢١٦هـ) تحقيق : احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٧ ، ١٩٩٣م :٦٧؛ مالك بن حريم الهمداني شاعر فحل جاهلي. وهو جد مسروق بن الأجدع / معجم الشعراء: ٣٥٧.

(٢) ديوان حاتم الطائي بشرح أبي صالح بن مدرك الطائي ، قدم له علق عليه : حنا نصر الحتى ، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٩٤م: ١٠٢.

يفخر حاتم الطائي بأجداده مصرحا بكرمه موصلا ذلك بصفات أسلافه التي منحتهم السيادة والزعامة والذكر في قومهم .

ويقول الأعلمُ الهذلي[1]:

وافـــــــــــر

فـــأنّ الســـيدَ المعلـــومَ فينـــا يجـــودُ بمـــا يظـــنُ بـــهِ البخيـــلُ

وإنّ ســـــيادةَ الأقـــوامِ فـــاعلمْ لهـــا صُـــعداء مطلعهـــا طويـــلُ

فالسيادة لا تتحقق إلا بالجود وبذل المال، وهو ليس بالأمر الهين المهيأ للجميع حتى على من يملك المال بل لا تتم إلا لنفوس لها صفات خاصة لها القدرة على الضبط والاستمرارية وإمكانية التعامل مع أصناف المجتمع المتنوعة، فمن دون ذلك لا يمكن تحقيق السيادة على القوم.

يتعالق الكرم مع الحلم في كون كليهما يحمدان عندما يكون صدورهما عن قوة وتمكن يقول حاتم الطائي[2]:

طويـــــــل

وأجعـــلُ مـــالي دون عرضـــيّ جُنـــةً لنفســـي فأســـتغني بمـــا كـــان مـــن فضـــلِ

ولـــي مـــع بـــذلِ والبـــأسِ صـــولةً إذا الحـــربُ أبـــدتْ عـــن نواجـــذها العصـــلُ

وأجعـــلُ نفســـي للعشـــيرةِ جُنـــةً وأحمـــلُ عـــنهم كـــلّ ماكـــان مـــن ثقـــل

(١) شرح أشعار الهذليين ،أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (١٢٧٥هـ) تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، دار العروبة – القاهرة د.ت : ٣٢٣ ؛ الاعلم الهذلي اسمه حبيب بن عبد الله أخو صخر الغي الهذلي ينظر : شرح أشعار الهذليين :٣١١/١.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ٢٧.

فالكرم عند حاتم الطائي يأتي من قوة وتمكن ، فهو يقرن بصفة الكرم صفة الفروسية والتضحية في سبيل القبيلة، فصفة الكرم لا تتعارض مع القيم الأخرى بل تتكامل معها لتمنح صاحبها قوة وتمكنا، كذلك قيمة الحلم كما سنرى لاحقا تتكامل مع صفات أخرى مثل الشجاعة والفروسية والحكمة لتوصل صورة تبين أن صدور تلك القيم هو عن تمكن وقوة لا عن عجز ونقص.

يتعالق الكرم مع الحلم في إمكانية كون كل واحد منهما تعقلا وحكمة، يقول طرفة ابن العبد[1] :

طويـــــل

ويُظهـرُ عيـبَ المـرءِ فـي النـاسِ بخلـه ويســترهُ عــنهم جميعــاً ســخاؤهُ

تغــطّ بأســبابِ الســخاءِ فــإنّني أرى كــلّ عيــبٍ والســخاءُ غطــاؤهُ

يقدم طرفة هنا نصيحة مؤطرة بالحكمة مفادها أنّ طريق السخاء هو طريق الانسان الحكيم البصير بمآلات الأمور وعواقبها، فالكرم قيمة خلقية عليا تغطي ما قد يصدر من الانسان من تصرفات تعيبه، ولما كانت الطبيعة الانسانية تجعل الوقوع في الأخطاء والتصرفات المعيبة ممكنا للجميع، فإنّ الشاعر يرى في الكرم حلّا، فهو يغطي على ما يصدر من الانسان، ويمنحه القيمة الاجتماعية العليا.

ويتعالق الكرم مع قيمة الحلم في كون الكرم قد يكون وسيلة لإطفاء الحروب ،ودرء سفك الدماء، مثال ذلك مافعله الحارث بن عوف وهرم بن سنان في وساطتهما بين عبس وذبيان وتحملهما لديات القتلى من أجل إخماد نار الحرب، فخلد زهير ذلك بقوله[2]:

(١) ديوان طرفة بشرح الاعلم ، تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية ، بيروت ط٢، ٢٠٠م : ١٤٣.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط٣،١٩٨٠م : ١٦.

طويـــــــل

تَـــــدَارَكْتُما عَبْســـــاً وذُبْيَـــــانَ بَعْـــــدَما تَفَـانَوْا وَدَقّـوا بَيْـنَهم عِطـرَ مَنْشَـمِ(*)

وَقَـــد قَلتُمـــا إنْ نُـــدرِكِ السّـــلمَ واسِـــعاً بِمَـــالٍ وَمَعْـرُوْفٍ مِـنَ الأمـرِ نَسْـلَمِ

فَأَصْـــبَحْتُمَا مِنْهـــا علـــى خَيـــرِ مَـــوْطِنٍ بَعيـدَيْنِ فيهـــا مِـــنْ عُقُـــوقٍ وَمَـــأثَمِ

عَظِيْمَـــينْ فـــي عُليـــا مَعَـــدٍ هُـــدِيْتُمَا وَمَـنْ يَسْـتَبِحْ كَنـزاً مِـنَ المَجْـدِ يَعْظَـمِ

فقد كان للكرم الذي بذله هذان السيدان أثر في تجنيب القبيلتين ويلات الحرب ، فبذل المال يهون أمام المكاسب التي حققها ، و كان ذلك الموقف معليا لقيمتهما بين قومهما .

ثانياً- الصبر :

يعد الصبر من أكثر القيم الخلقية التي تتسع وتتداخل مع القيم الأخرى، فأصل الصبر الحبس[١] فكل قيمة تتطلب ضبطا وحبسا للنفس تتعالق مع قيمة الصبر، فالعفة هي صبر على الشهوة ، وعدم الجزع في المصيبة صبر، والشجاعة وتحمل شدائد الحرب صبر ، والحلم الذي يتطلب كظما للغيض هو صبر[٢] فالحلم يقع ضمن عموم قيمة الصبر، كذلك يلتقي مع أنواع الصبر الأخرى في كون كل واحد منها يتطلب ضبطا وسيطرة على النفس،

(*) منشم ((منشم، قيل فيه: إنه اسم امرأة عطارة اشترى قوم منها جفنة من العطر وتعاقدوا وتحالفوا وجعلوا آية الحلف غمسهم الأيدي في ذلك العطر، فقاتلوا العدو الذي تحالفوا على قتاله فقُتلوا عن آخرهم، فَتَطَيَّرَ العرب بعطر منشم وسار المثل به)) شرح المعلقات السبع ، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، (ت ٤٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت -٢٠٠٢م، ١٣٩.

(١) شرح ديوان الحماسة ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية – بيروت -٢٠٠٣م : ٩٦.

(٢) ينظر : إحياء علوم الدين: ٦٧/٤.

ونجد ذلك ظاهرا في مضامين الصبر المتعددة ، ففي مضمون الصبر أمام حقيقة الموت يقول تأبط شراً[١] :

طويـــــل

وأجمــلُ مــوتِ المــرء إذ كــان ميتــا ولابــدّ يومــا موتــهُ وهــو صــابرُ

وخفــضّ جأشــي أن كــلّ ابــن حــرّةٍ إلــى حيــثً صــرتَ لا محالــة صــائرُ

وإنّ ســوامَ المــوتِ تجــري خلالنــا روائــع مــن أحداثــهِ وبــواكرُ

يشير الشاعر إلى ضرورة الصبر أمام حقيقة الموت وضبط النفس لتقبل تلك الحقيقة، مشيرا إلى أن مايسوغ قبولها هو العموم والحتمية التي تتميز بها حقيقة الموت ، فلا يسلم منها أحد ،لكونها على هذه الصفة ، فالتصرف الأكثر حلما هو تقبلها والرضا بحكمها الحتمي ، فالصبر يلتقي مع الحلم في نقطة ضبط النفس وتوطينها أمام تلك الحقيقة ، كذلك يلتقي معه في الحكمة في التعامل معها يقول قس بن ساعدة الأيادي [٢] :

مجزوء الكامــل

فـــــي الـــــذاهبين الْأَوَّلـــــين مـــن الْقُـــرُون لنـــا بصـــائر

لمـــــا رَأَيْـــــت مـــــواردا للْمَـــوْت لَـــيْسَ لَهَـــا مصَـــادر

وَرَأَيْـــــت قـــــومي نَحْوهَـــــا يمضـــى الأصـــاغر والأكـــابر

لَا يرجـــــع الماضـــــي إلـــــىّ وَلَا مـــــن البَـــــاقِينَ غـــــابر

أيقنـــــتُ أَنـــــى لَا محَالـــــة حَيْـــثُ صَـــار الْقَـــوْم صـــائر

(١) ديوان تأبط شرا ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة – بيروت -٢٠٠٣م: ٢٨.

(٢) الحماسة المغربية ،أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي (ت ٦٠٩هـ) ، تحقيق :حمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر – بيروت - ١٩٩١م : ١٤٠٠/٢.

فالحكمة تقتضي تقبل حقيقة الموت وعدم شغل النفس بها والتصرف على أساس حتمية الفناء، ومادام الأمر كذلك ((فكل اعتبارات الحذر والحيطة لما تأتي به الأيام ملغاة، فالنهاية لايمكن أن يتلافاها غني ولا فقير ولا جاهل ولا حكيم ولا بخيل ولا كريم))[١].

ومن مضامين الصبر التي تتعالق مع الحلم الصبر في الحرب، فكما تكون مواقف الحلم في بعض منها تأتي لحاجات ضاغطة كذلك الحرب قد يجبر عليها، ويضطرها العربي يقول قيس بن الخطيم[٢]:

طويـــــل

أربــتُ بــدفعِ الحــربِ لمــا رأيتهــا على الـدفعِ لا تـزدادُ غيـر تقـاربِ

إذا لـم يكـن عـن غايـةِ الحـربِ مـدفعٌ فـأهلا بهـا إذ لـم تـزل فـي المراحـبِ

فالعربي يتقبل الحرب عندما تكون الخيار الوحيد و يكون النكوص عنها يفقده قيمته ووجوده عندها يرحب ترحيب مضطر.

ومن مضامين الصبر الأخرى التي تتجلى فيه قدرة العربي على ضبط النفس والتحكم بها في أصعب الظروف هو الصبر عن الجوع يقول أبو خراش الهذلي[٣]:

---

(١) شعر الحرب عند العرب ، طراد الكبيسي، دار الشؤون الثقافية – بغداد -١٩٨٣م: ٢٤ . وأبو خراش الهذلي من شعراء ، واسمه خويلد بن مرّة، أحد بنى قرد بن عمرو بن معاوية بن تميم بن سعد بن هذيل. ونهشته حيّة فمات فى زمن عمر بن الخطاب /الشعر والشعراء ٦٥٠/٢

(٢) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، أحمد مطلوب ، مطبعة العاني – بغداد - ١٩٦٢م: ٣٢.

(٣) حماسة الخالديين ، الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي(٣٨٠هـ) و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (٣٧١هـ) ، تحقيق : محمد علي دقة ، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية - ١٩٩٥م: ٥١.

طويـــــــل

وإنّـــي لأثـــوِي الجـــوعَ حتّـــى يَمَلنـــي فيـذهب لـم تَـذْنَس ثيـابي ولا جِرْمـي

أردُّ شـــجاعَ الجُـــوعِ قَـــد تعلمينـــه وأَوثِـرُ عبـدي مـن عيالِـكِ بـالطَّعمِ

مخافـــة أن أحْيَـــا بـــرغمٍ وذلّـــةٍ ولَلْمـوتُ خيـرٌ مـن حيـاةٍ علـى رغـمِ

يقاوم أبو خراش – في هذ النص – الجوع ويصبر عليه ويطوع النفس على ذلك، فيقدم لنا((صورة نبيلة لذلك الجوع الذي يطيل حبسه حتى يمله فيمضي عنه دون أن يلحقه من عار، وهو يكتفي بالماء القراح في حين يستمتع البخلاء الأشحاء بزادهم، فإذا ما تلظى الجوع في بطنه فإنه يرده ويغلبه على أمره، وهو يؤثر عياله على نفسه بالطعام، وهو يفعل ذلك كله حتى يعيش حياة كريمة مترفعة لا تسقط إلى مهاوي المذلة والهوان والعار))[١] فالصبر على الجوع وتحمله يعتمد على مايحصله المرء من مكاسب تزيد من قيمته في المجتمع.

ثالثاً- الشجاعة :

من القيم الرفيعة التي خلدها الشعر الجاهلي قيمة الشجاعة، وهي قيمة تجذرت في صميم العربي الذي وجد نفسه في جو من الحروب، إذ تحولت الجزيرة العربية إلى ساحة حرب كبيرة تتقاتل فيها القبائل وتتولد الثارات، وهذا الجو لا يعيش فيه إلا الشجاع[٢] لذلك قالت العرب: الشجاعة وقاية والجبن مقتلة، وقالت الشجاع موقّى والجبان ملقّى[٣] فعلى الرغم من أن الشجاعة قد تكون خلقة إلا أن هناك أسبابا مُشجعة مثل النجدة والحمية

(١) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف، دار المعارف – القاهرة، ط٣ ،د.ت: ٢٣٥.

(٢) ينظر : البطولة في الشعر الجاهلي ، شوقي ضيف، دار المعارف – القاهرة، ط٢ – ١٩٨٤م :١٧.

(٣) ينظر العقد الفريد، ج١ :٩١ .

والغيرة[١] وهذه الاسباب تسهم في إدامة تلك القيمة وضبط النفس وترويضها من أجل احرازها.

إن بيئة الصحراء التي خلقت رجالا أقوياء ربت في نفوس أبنائها صفات الشجاعة والجرأة والكبرياء[٢] فالشجاعة تتطلب جانبا كبيرا من الثبات وضبط النفس ، وهي في هذه النقطة تتعالق مع صفة الحلم ، فالحلم مواجهة تتطلب ثباتا وضبطا للنفس ، كذلك الشجاعة هي مواجهة لخصم مع ثبات وضبط للنفس، وكما يكون الحلم قيمة تثبت وتتأصل بالاستمرار والمران تكون الشجاعة من الصفات ((التي يكتسبها الانسان بالمران والممارسة ولا تدرك إلا باستمرارها ولا تعلم إلا بمقتضاها))[٣].

تنفع قيمة الحلم عندما يختار الشخص اللحظة المناسبة لاختيارها كذلك قيمة الشجاعة ((قيل لعنترة: أنت أشجع الناس وأشدها قال: لا، قيل: فبمَ إذن شاع لك هذا في الناس؟ قال: "كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزمًا وأحجم إذا رأيت الإحجام حزمًا ولا أدخل موضعًا لا أرى لي منه مخرجًا، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله))[٤] فالحكمة في توظيف القيمة هو ما يمنحها فائدتها المرجوة.

من مظاهر قيم الشجاعة التي صورها الشعر الجاهلي هي عدم المبالاة بالموت، فلا يكوّن حاجزا يمنع الاقدام في الحرب يقول عنترة العبسي[٥]:

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء ج٢ :٢٤٦.

(٢) ينظر: الشعراء الصعاليك في الشعر الجاهلي: ٧٥.

(٣) الفروسية في الشعر الجاهلي نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة – بغداد -١٩٦٤م : ١٣٤.

(٤) شرح المعلقات للزوزني: ٢١٤.

(٥) ديوان عنترة العبسي، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي – القاهرة د.ت :٢٥١.

الكامـــــــل

بَكَــرَتْ تُخَــوِّفُني الحتُــوفَ كَــأَنّني أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الحتوف بمعزل

فأجبتهـــــا إنّ المنيـــــة منهـــــل لا بــدّ أَنْ أُسْــقَى بِكَــأْسِ المَنْهَــلِ

فـاقَنِي حَيَـاءَكِ- لاَ أَبَالَـكِ- وَاعْلَمـي أَنِّــي امْــرُؤٌ سَــأَمُوتُ إِنْ لَــمْ أُقْتَــلِ

فلا مجال للخوف أمام حقيقة أن الموت سبيل الجميل ، فالمصير واحد هو الموت سواء أكان قتلا أم موتا طبيعيا، وهذه المحاججة لا يقدمها إلا الشجاع أما الجبان فيؤجل فكرة الموت ويدفعها.

إن الشجاعة التي صورها عنترة تنبع من فلسفته التي آمن بها ((فالموت لا بدّ منه ،وما دام الإنسان يموت فالأجدر أن تكون ميتة في الحرب لأنّها أولى من غيرها لما فيها من الإيثار والعلو))[1] فلا يستطيع المرء أن يغير من تاريخها المحتوم بقدر ما يستطيع من آمال ، ومواجهة هذه الحقيقة وتقبلها يتطلب ضبطا عاليا للنفس ويقول طرفة [2]:

طويـــــل

ألا أيُّهــذا اللّائمـــي أحضُـــرَ الـــوغى وأن أشـهدَ اللـذّات هـل أنـتَ مُخلِـدي

فــإنْ كُنْــتَ لا تَســطِيع دَفــعَ مَنيَّتــي فـدعْني أبادْرهـا بمـا مَلَكَـتْ يـدي

فلا مجال للوم في خوض الحروب عندما تكون الخيار الذي يحفظ للعربي قيمته ، فالمنية لا تدفع ولا تعجلها الحرب، فهي قدر محتوم، وعلى الانسان أن يعود نفسه تلك الحقيقة.

(١) الفروسية في الشعر الجاهلي : ٢٧٩.

(٢) ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : محمد مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت- ٢٠٠٢م: ٢٥.

كما إنهم صوروا الموت بصورة المحبوب المطلوب ، وحملوا هم تأخره على الرغم من قربه حتى شابت رؤوسهم يقول حارثة بن بدر(١):

طويـــــل

وَإِنَّـــا لتســـتحلى المنايـــا نفوسُـــنا ونتـــركُ أُخْـــرى مـــرّة لَا نَـــذوقها

وشـــيّب رأســـي قبـــلَ حِـــين مشـــيبهِ رعـــود المنايـــا بَيْننَـــا وبروقهـــا

كانت الشجاعة صفة من صفات السيد في قومه قال السموأل (٢):

طويـــــل

ومـــا مـــات منّـــا ســـيّد حتـــف أنفـــه ولا طـــلّ منّـــا حيـــث كـــان قتيـــل

تســـيل علـــى حـــدّ الظّبـــات نفوســـنا ولـــيس علـــى غيـــر السّـــيوف تســـيل

فالسيد هو من يغشى الحروب ويضبط نفسه أمام أهوالها، فسيادة القوم في ظل جو من الحروب المتبادلة يتطلب أنموذجا شجاعا يعرف العدو جديته في الرد والعامل مع أي عدوان فيكون رادعا ضد أي أفكار عدوانية على القبيلة.

وقد كانت الحرب هي الميدان الأمثل لتجلي الشجاعة يقول المزرّد بن ضرار الغطفاني(٣):

---

(١) الحماسة المغربية ،أبو الحسن البصري (ت : ٦٥٩ هـ) ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، عالم الكتب – بيروت، د.ت ،ج١ :٣٢. والحارثة بن بدر التميمي العذاري البصري تابعي عاصر أمير المؤمنين علياً والخليفة عمر وبلغ خلافة معاوية / الكامل في اللغة والأدب ٢٥٠/٥

(٢) ديوان السموأل ، تحقيق : واضح عبد الصمد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦م :٧٢- ٧٣.

(٣) المفضليات: ٩٥، وهو مزرد بن ضرار أخو الشماخ شاعر مخضرم مقل ، ينظر : الشعر والشعراء: ٢٠٤/١.

طويل

فقــد عَلِمَــتْ فِتْيــانُ ذُبْيَــانَ أننــي ... أنـا الفـارس الحـامِي الـذِّمارَ المُقاتِـلُ

وأَنِّــي أَرُدُّ الكَــبْشَ(*) والكَــبْشُ جــامِحٌ ... وأَرْجــعُ رُمحِــي وهْــوَ رَيَّــانُ ناهِــلُ

وعنــدي إذا الْحَــرْبُ العَــوَانُ تَلقَّحَــتْ ... وأَبْــدَتْ هَوَادِيهــا الخطُــوبُ الــزَّلاَزلُ

أَجَــشُّ (**)صَــرِيحيٌّ كــأَنَّ صَــهيلَهُ ... مَزَامِيــرُ شَــرْب جاوَبَتْهــا جلاجــل

فالشاعر هنا يصف شجاعته وبأسه في الحرب ذلك البأس الذي يعلمه فتيان القبيلة، ويصف تفوقه على خصومه واستعداده الدائم للحرب ،فجواده دائم الجهوزية ، ومن مظاهر وصف الحرب التي تتجلى فيها الشجاعة وصف شدة الحرب، والمبادرة بها عند وجوبها يقول بشر بن عمرو بن مرثد(١):

قُــلْ لِابْــنِ كُلْثُــومٍ السَّــاعِي بذمتــه ... أبشـر بحَـرْبٍ تُغِـصُّ الشَّـيْخَ بـالرِّيقِ

وصــاحِبَيْهِ فــلاَ يــنعم صــباحهما ... إذا فُـرَّتِ الحربُ عن أَنيابِهـا الـرُّوقِ

لا يَبْعَــثُ العِيــرَ إلاَّ غِــبَّ صَــادِقَةٍ ... مــن المَعَــالِي وقــومٌ بالمفَــارِيقِ

(*) كبش القوم سيدهم ، ينظر الصحاح (كبش): ١٠١٧.

(**) فرس أجش أي غليظ الصوت ،ينظر الصحاح (جشش): ٩٩٨.

(١) المفضليات: ٢٧٤. ، و بشر بن عمرو بن مرثد أحد بني قيس بن ثعلبة ، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ٧٣/١

فالشاعر هنا يبشر خصمه بحرب شديدة حرب لا هوادة فيها حرب تدوم عليهم صباح مساء، فهو مستعد لها ،فلا يوهنه طول مدتها واستمرارها، وهذه المطاولة تتطلب شجاعة وعزم لا يحظى بها إلا الذي خبر الحروب، وعلم أسرارها.

ولم ينحصر تصويرهم لقيم الشجاعة على صور الحرب بل صوروها مركزا تدور عليه قيم أخرى مثل الكرم يقول ربيعة بن مقرم[1] :

متقارب

وإنْ تســـــألِيني فـــــإني امْـــــرُؤٌ أَهِـــينُ اللئِـــيمَ وأَحْبُـــو الكَرِيمَـــا

وأَبْنِـــــي المَعَـــــالِيَ بِالمَكْرُمـــــاتِ وأَرْضِـــي الخَلِيـــلَ وأَرْوِي النّـــدِيمَا

ويَحْمَـــــدُ بَـــــذْلِي لـــــهُ مُعْتَـــــفٍ إِذَا ذَمَّ مَـــــنْ يَعتَفِيـــــهِ اللّئيمَـــــا

وأَجْـــزِى القُـــرُوضَ وَفـــاءً بهـــا بِبُؤسَـــى بَئِيسَـــى ونُعْمَـــى نَعِيمـــا

فالشجاعة لا تقتصر على الحرب فقط ، بل تمتد للتتآزر مع قيمة الكرم ،فتنصهر معها، فالشجاعة والكرم يسيران بنفس الخط نحو بناء المكرمات، وهذه القيم من دون شك تتعالق مع قيمة الحلم في نقطة ضبط النفس وترويضها.

(١) المفضليات ١٧٣، وربيعة بن مقروم الضبي شاعر مخضرم وهو من شعراء مضر المعدودين ، ينظر: الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ، تحقيق :أحمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة -١٩٨٢م:٣٠٨/١.

رابعاً - الوفـــــــــــاء :

الوفاء من القيم التي قدرها العربي، فهي لا تتوفر إلا لمن بلغ قيمة عليا ؛ لذلك قيل : الوفاء من شيم الكرام[١] والوفاء لا يقتصر على الجانب الفردي بل يتعلق بالجانب الاجتماعي فعلى العربي((الوفاء لأهل عصبيته، ليس له مخالفتهم ولا معاكستهم مهما كانت درجه الخلاف بينه وبينهم؛ لأنه واحد وهم جماعة، إن أصابه ضيم فلا بد لجماعته من مواساته ومن الانتصار له مهما كانت أسباب الفرقة))[٢]، وهناك قصص كثيرة للوفاء تناقلتها كتب التاريخ والادب منها قصة حنظلة الطائي الذي أعطى عهداً((للملك النعمان يوم بؤسه بأن يعود إليه؛ ليرى الملك رأيه في قتله، فعاد وهو يعلم أن الملك سيقتله؛ لأنه أعطاه قولًا بالعودة))[٣] .

كذلك جعل العرب الوفاء درجات، فقيل((أكرم الوفاء ما كان عند الشدّة))[٤] ويتعالق الوفاء كذلك مع الحلم في منطقة ضبط النفس، فالوفاء ضبط النفس أمام مختلف العقبات والمتغيرات من أجل إنجاز وعد أو ميثاق.

ونجد مضامين عدة للوفاء في الشعر الجاهلي منها نعرض، لبعض الصور النادرة في الوفاء كصورة السموأل بن عاديا الذي فضل الوفاء بالعهد وحفظ.

الأمانة على قتل ابنه [٥] يقول الأعشى في ذلك[٦] :

---

(١) ينظر: محاضرات الأدباء: ٣٥١/١.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٤٠٢/٧.

(٣) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ٤٠٤.

(٤) محاضرات الادباء: ٣٥٢/١.

(٥) ينظر : الشعر والشعراء: ١/ ٢٥٤.

(٦) ديوان الأعشى الكبير، تحقيق: محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب – د.ت: ١٧٩.

بســـــــيط

كُــن كالســموأل إذ طَــافَ الهُمــامُ بِــه ... فـــي جَحفَــلٍ كَهزيــع اللَيــلِ جَــرّارِ
بِـــالأَبلَقِ الفَـــردِ مِـــن تَيمـــاءَ مَنزِلُـــهُ ... حِصـنٌ حَصـينٌ وَجـارٌ غَيـرُ غَـدّارِ
إِذْ ســامه خطتــي خســف فَقَــالَ لَــهُ ... مهمــا تقلــه فَــإِنّي ســامع حَــارِ
فَقَــالَ غــدر وثكــل أَنْــت بَينهمَــا ... فــاختر وَمَــا فيهمَــا حَــظّ لمختــارِ
فَشــك غيــر طَوِيــل ثــمَّ قَــالَ لَــهُ ... اقْتُــل أســيرك إِنِّــي مَــانع جــاري
عِنْــدِي لَــهُ خلــف إِن كنــت قَاتلــه ... وَإِن قتلــت كَرِيمًــا غيــر عــوارِ

فلم يتنازل السموأل عن وعد الوفاء ولم يرضخ للتهديد بقتل ابنه، وفضل ذلك على أن يغدر بالعهد على الرغم من أنه قد يعذر لكونه في موقف تهديد ،فكان السموأل على مقدار عال من ضبط النفس أمام تلك التهديدات للحفاظ على وعده، فالعربي يفضل الوفاء بالعهد ولو كان الخيار الأصعب يقول عارق الطائي[1] :

طــويــــل

غَــدَرْتَ بِــأَمْرٍ أَنْــتَ كُنْــتَ دَعَوْتَنَــا ... إِلَيْــهِ وَشَــرُّ الشِّــيمَةِ الْغَــدْرُ بِالْعَهْــدِ
وَقَــدْ يَتْــرُكُ الْغَــدْرَ الْفَتَــى وَطَعَامُــهُ ... إِذَا هُــوَ أَمْسَــى جُلَّــةٌ مِــنْ دَمِ الْفَصْــدِ

والفصد هو استخراج دمّ من الناقة ليكون طعاماً، وكانوا يفعلون ذلك في سنين الجدب[2] فالتصرف المتوقع من العربي عندما يكون في موقف الامتحان أن يختار الوفاء بالعهد، فلا تكون مواقف الشدة مبررا للغدر، فلا عذر للغادر مهما كانت أسبابه ؛لذلك يروض العربي نفسه ، ويضبطها لتحقيق قيمة الوفاء.

(١) حماسة البحتري ، البُحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، تحقيق : محمَّد إبراهيم حُوَّر - أحمد محمد عبيد ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث - أبو ظبي -٢٠٠٧م :٢٨٩؛ وعارق الطائي هو عارق أجا الطائي اسمه قيس بن جروة بن سيف بن مالك بن عمرو ابن أمان / معجم الشعراء ٣٢٦.

(٢) ينظر :شرح ديوان الحماسة للتبريزي ،يحيى بن علي التبريزي (٥٠٢هـ) ،دار القلم – بيروت – د.ت: ١٩٨/١.

ومن مظاهر الوفاء التي تجلت في الشعر العربي بشكل كبير ظاهرة الوفاء للقبيلة يقول دريد بن الصمّة [1] :

طـــويـــــل

ومَـــا أنَـــا إلَّا مـــن غَزِيَّـــةَ إنْ غـــوَتْ غويْـــتُ وإنْ تَرشُـــدْ غزَّيَـــةُ أرشُـــدِ

فالشاعر هنا يصوّر الوفاء المطلق للقبيلة، فلا خيار له أمام قرارها إلا الاتباع بغض النظر عن كون هذا القرار صائبا أو خاطئا، وهنا تتعالق قيمة الوفاء في كون الحلم يأتي أحيانا من أجل إبقاء زخم الوفاق والتآلف بين القبيلة ، كذلك يكون الوفاء.

ومن مظاهر الوفاء بالعهد الأخرى الالتزام بالعهود التي تقطعها القبيلة ، وأن يكون هذا الالتزام شاملا أفرادها يقول: المساور بن هِنْد بن قيس بن زُهَيْر[2]:

طـــويـــــل

إذا عقـــدت أفنـــاء ســـعد بـــن مَالـــك لَهَـــا ذمَّـــة عـــزت بِكُـــل مَكَـــان

إذا ســـئلوا مَـــا لَـــيْسَ بِـــالْحَقِّ فـــيهم أَبـــى كـــل مجنـــي عَلَيْـــهِ وجـــاني

وَدَار حفـــاظ قـــد حللـــتم مهانـــة بهَـــا نيـــبكم والضـــيف غيـــر مهـــانِ

فمتى عقدت هذه القبيلة ((ذمة لها عزت تلك الذمة وغلبت في الأماكن كلها، وجب الوفاء فيها عليهم بأسرهم، لا اختلال منهم في دفعها، ولا انفكاك لهم من ملازمتها))[3] فهو

---

(١) الاصمعيات :١٠٧.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:١١٦٦ ؛ المساور بن هند بن قيس بن زهير بن جذيمة العبسى. وقيس بن زهير جدّ المساور هو صاحب الحرب بين عبس وفزارة، وهى حرب داحس والغبراء ، ينظر : الشعر الشعراء: ٣٣٦/١.

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :١١٦٦.

وفاء مع المتعاقد معهم من جهة ، ومع القبيلة بالالتزام بقرارها من جهة أخرى ، فقيمة الوفاء تتعالق مع قيمة الحلم في كون القيمتين كلاهما تسهمان في الحفاظ على النسيج المجتمعي، كما أنّ الوفاء بالعهد والحلم كلاهما يتطلب درجة عليا من الضبط والالتزام .

خامساً – العفة :

ومن القيم الأخرى التي تجلت في الشعر العربي قيمة العفة ، ومفهوم العفة يتسع لدى العربي فمن أقسامها((القناعة، وقلة الشره، وطهارة الإزار، وغير ذلك مما يجري مجراه))[١] ويدخل ابن المقفع((الحياء والكرم والصيانة والأنفة داخلةٌ في باب العفة))[٢] ويرى قدامة ابن جعفر إمكانية تركب العفة مع قيم خلقية أخرى لتكون قيما جديدة فيقول:((تركيب الشجاعة مع العفة: إنكار الفواحش، والغيرة على الحرم ،وعن السخاء مع العفة الإسعاف بالقوت، والإيثار على النفس، وما شاكل ذلك))[٣] نلحظ أنّ هذه القيمة تمتد وتتعالق مع القيم الأخرى وهي تلتقي مع الحلم في مواطن تحققها في صاحبها ، فالعفة شرط من شروط السيادة [٤] كذلك الحلم كما سنعرض لاحقا، و تكون العفة علامة قوة واقتدار[٥] كما هو الحلم.

وتتجلى هذه القيمة في أبرز صورها عند الشاعر عروة بن الورد إذ يقول[٦]:

---

(١) نقد الشعر، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية – بيروت د.ت :٩٨.

(٢) كليلة ودمنة ،عبد الله بن المقفع (١٤٢ هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة - ١٩٣٧ : ٢٤

(٣) نقد الشعر :٩٨ .

(٤) ينظر : الحياة العربية من الشعر الجاهلي ،أحمد الحوفي ، مكتبة النهضة – القاهرة ط٢ د.ت . ٢٨٦

(٥) ينظر : المصدر نفسه ٢٨٦.

(٦) ديوان عروة بن الورد ، دراسة وشرح : أسماء أبو بكر محمد،دار الكتب العلمية – بيروت -١٩٩٨م : ٤٨ .

طـــويـــــل

ولا يُستضـامُ، الـدهرَ، جـاري، ولا أرى كمن بـاتَ تسري للصّديق عقاربُـه

وإنْ جـــارتي ألـــوَتْ ريـــاحٌ ببيتهـــا تغافلـت حتـى يسـتر البيـت جانبـه

فالشاعر هنا يتحرى أدق تفاصيل صيانة حرمة الجار، فلو ظهر شيء من حرمة جارته تغافل وغض الطرف، على الرغم من عدم وجود الرقيب، فالعفة طبع لا تحركه المجاملة أو الخوف من كلام الناس بل هو تصرف ذاتي وطبع أصيل .

ولا تقتصر صور العفة على ما يتعلق بالمرأة بل تمتد لتشمل الإعراض عن المغنم وقت استحقاقه والزهد فيه يقول عنترة العبسي [1] :

هَـلاّ سَـأَلْتِ الخَيْـلَ يـا ابنَـةَ مالِـكٍ إنْ كُنْـتِ جاهِلَـةً بِمَـا لَـمْ تَعْلَمـي

لا تَسْـأليني واسـألي فـي صُـحْبَتي يَمْـلأْ يَـدَيْكِ تَعَفُّفـي وتكَّرمـي

يُخْبِـرْكِ مَـنْ شَـهِدَ الوَقيعَـةَ أنّنـي أَغشَى الوَغَى، وأَعفُّ عندَ المَغنَمِ

فعنترة يشير إلى شهرته بين أصحابه بالتعفف والتكرم عن غنائم الحرب مع إقدامه وشجاعته فيها، وفي ذلك إشارة إلى أنّ خوضه المعارك من أجل قيم أعلى من مجرد الكسب المادي المتمثل بالغنائم ، فعفافه عن تلك الغنائم يأتي من سمو نفسه إلى تحقيق القيم المعنوية لا المادية ، وتمثل كذلك تلك العفة جانبا عاليا من جوانب ضبط النفس وتطويعها لإحراز القيم العالية ، فهم يطلبون المغانم العالية التي تعلي قدرهم لذلك قال عمرو بن كلثوم[2] :

(١) ديوان عنترة العبسي :٢٠٧.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي : تحقيق : أحمد ميدان ، النادي الأدبي – جدة -١٩٩٢م: ٣٣٨.

وافـــــــر

فـــــآبوا بالنّهـــــابِ وبالســـــبايا وأُبنـــــا بـــــالملوكِ مُصّـــــفّدِينَا

ويقول عنترة [1] :

كامـــــــل

وَلَقَـــدْ أَبِيـــتُ علـــى الطّـــوَى وأَظَلُّـــهُ حَتّـــى أَنَـــالَ بِـــهِ لَذِيـــذَ المَطْعَـــمِ

فهو يتحمل الجوع ويعف عن الطعام حتى يحقق مراده ، فترك الطعام مع الحاجة إليه من خصال العفة التي تتصف بها النفوس، وهي قيمة خلقية تأتي عن طريق تهذيب النفس وتأديبها وتربيتها على ترك بعض مكملات العيش من أجل الغاية الأسمى، فمفهوم العفة على وفق ماقدمنا من نماذج يتسع ليشمل أخلاق عدة فهو يتجاوز قيمته في إطار العلاقة بالمرأة ، ليشمل قيم معنوية تتعلق بالنفس وسموها عن كل ما يمكن أن يشينها.

ومن مظاهر العفة العفو عما يقع من الأسرى بوصفها غنيمة حربية، من ذلك ما فعله علقمة ابن سيف أحد زعماء بني تغلب وأشرافهم في الجاهلية عندما أغار على أخلاط من بني تميم، فأصاب النساء والأموال والأسرى ،ثم أعتق النساء وحملهن إلى قومهن ،فقالت امرأة منهم تذكر ذلك[2] :

(١) ديوان عنترة العبسي :٢٤٩.

(٢) ينظر: الأنوار ومحاسن الاشعار، أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي (٣٧٧هـ) تحقيق :صالح مهدي العزاوي ، وزارة الاعلام – بغداد -١٩٧٦م: ١٦٧/١- ١٦٨.

وافـــــــر

جَـزَى الـرَّحمنُ عَلْقمَـةَ بـنَ سَـيْفٍ ... علـى النَّعْمَـاءِ خَيْـرَ جَـزَا مُثَـابِ

عَـنَ آلِ مُجَاشِـعٍ وبَنِـي فُقَـيْمٍ ... وأَحْيَـاءِ البَـرَاجِمِ والرَّبَـابِ

وحَيَّـيْ نَهْشَـلٍ وسَـرَاةِ سَـعْدٍ ... بسَـفْحِ مُتَـالِعٍ ولِـوَى إِرَابِ

جَـزَتْ نَوَاصِـياً مِنَّـا فَرَاحَـتْ ... نِسَـاءُ الحَـيِّ طَـاهِرَةَ الثِّيَـابِ

وأَطْلَقْـتَ العُنَـاةَ وكَـان يَوْمـاً ... يَغَـصُّ الشَّـيْخُ منـه بالشَّـرَابِ

فأَنْـت المَـرْءُ تُشْـكَرُ نِعْمَتَـاهُ ... عَلَيْنَـا مـا بَـدَا وَضَـحُ السَّـرَابِ

ومن مظاهر العفة الترفع عن بذيء القول يقول المثقب العبدي[1] :

رمـــــل

وكـــلامٍ ســـيءٍ قَـــدْ وقـــرتْ ... عنـهُ أذنـاي ومـا بـي مـن صَـمَمْ

فلا يسمع الكلام السيء ويصمّ عنه عفة وترفعاً، وهذا النوع من العفة يدخل ضمن الحلم، فهو ضبط للنفس عن الرّد على الكلام البذيء.

سادساً- العـــــدل:

تتعالق قيمة العدل مع كل القيم الأخرى من جهة أنّ القيمة بذاتها قد لا تكون فاعلة مالم توظف بطريقة مناسبة، وهذا التوظيف المناسب يدخل ضمن قيمة العدل ، فالعدل أساس كل قيمة، والعدل وضع الشيء في موضعه[2] فتوظيف كل قيمة في موضعها المناسب يعد عدلاً، كما أن العدل أساس كل تلك القيم؛ لذلك قيل((أن أول العدل أن يبدأ

(١) ديوان المثقب العبدي، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية -١٩٧١: ٢٣٠.

(٢) ينظر :شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٦.

الإنسان بنفسه، فيلزمها كل خلة زكية))[١] والعدل يتعالق مع قيمة الحلم في مناطق عدة ، فهو يتعالق معه في كونه يحتاج في بعض المواطن إلى الصبر والتحمل وضبط النفس وعدم الاستعجال ، جاء في أمثالهم: ليس من العدل سرعة العذل أي لا ينبغي لمن يبلغه عن أخيه شيء أن يسرع إليه باللائمة فلعل له عذرا وحجة[٢] فإذا بدر من الصاحب ما يسوء لا ينبغي الاستعجال بعذله بل يجب الحلم والتأني وتقصي أبعاد ذلك التصرف ، فسرعة الحكم من بدون معرفة جميع أبعاد الموقف قد يوقع الظلم بالصاحب.

يتعالق العدل مع الحلم في جانبه الوظيفي، فالحلم يؤدي وظيفة في كسب الناس واستيعابهم وهو هنا يلتقي مع قيمة العدل ؛ لذلك ((قيل: العدل يسع الخلق والجور يقصر عن واحد))[٣]، كذلك يتعالق العدل مع الحلم في كون كليهما ضرورة ملحة لاستمرار الحياة في ظل ذلك الجو من الحروب والنزاعات المستمرة، فالقيم الخلقية مثل الحلم والعدل قد كبحت في مواطن عدة ذلك الاندفاع نحو الحرب والفوضى منبهة إلى حق الآخرين وإلى وجود حدود وثوابت يمكن الرجوع إليها [٤] .

وقد تجلت هذه القيمة في صور عدة في الشعر الجاهلي ، فنجدهم يعرضون صورة السيد العادل بوصفه الفاعل الرئيس في تحقيق التعايش المجتمعي ، يقول زهير مشيرا إلى هرم ابن سنان ومن في قومه من السادات[٥] :

---

(١) لباب الآداب، أسامة بن منقذ (٥٨٤ه) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مكتبة السنة – القاهرة ط٢، ١٩٨٧ م : ٥٧.

(٢) ينظر :جمهرة الأمثال جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري (٣٩٥هـ) دار الفكر – بيروت د .ت: ١٩٣/٢.

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء: ٢٦٨/١.

(٤) ينظر : الأنسان في الشعر الجاهلي ،عبد الغني أحمد زيتوني ،مركز زايد للتراث – الإمارات - ٢٠٠١م : ٣٤٦.

(٥) شعر زهير بن أبي سلمى: ٣٨-٣٩.

طويـــــــل

متـــى يشـــتجرْ قـــومٌ يقـــلْ ســـرواتهمْ(*) هـــمُ بيننـــا فهـــمُ رضـــاً وهـــم عـــدلُ

هـــم جـــددوا أحكـــامَ كـــلِّ مضـــلةٍ(**) مـــن العقـــمِ لا يلفَـــى لأمثالهـــا فصـــلُ

فقيمة العدل عند هؤلاء هي من جعلت الناس يرجعون إليهم عند وجود خلاف أو تشاجر، فاعتقادهم العدل بهؤلاء السادة جعلهم يقبلون بحكمهم وينصاعون لما يقررونه، فكل قرار منهم يهدف إلى الإصلاح ، ولا يظلم أي طرف ، وهذه القيمة هنا تتعالق مع قيمة الحلم والحكمة ، فعدلهم في الحكم بين المتشاجرين والمتخالفين بما يحل الإشكال، ويرضي الجميع هو نوع من الحكمة والحلم.

ومن مضامين العدل الأخرى هي الفخر الذاتي بتحقيق ذلك العدل عن قوة واقتدار قال عامر بن الطفيل(١):

طويـــــــل

قضـــى اللهُ فـــي بعـــضِ المكـــارهِ للفتـــى برشدٍ وفـي بعض الهوى مـا يحـاذرُ

ألـــم تعلمـــي أنّـــي إذا الإلـــفُ قـــادني إلـــى الجـورِ لا أنقـادُ والإلـف جـائرُ

يقول الشاعر في هذا النص: ((أما عرفت من دأبي وطبيعتي، أني لا أتبع الغير، ولا أنقاد لما يجانب العدل، فمتى سامني أليفي مطاوعته فيما لا أستوفقه أبيت عليه، وتركته وما

(*) سروات القوم أشرافهم ، ينظر : تاج العروس (سرو): ٢٧٢.

(**) المضلة الأرض الواسعة التي لا أعلام فيها ولا يهتدي فيها لطريق، ينظر : تاج العروس (سلخ): ٢٧٠؛ وهنا يريد بالمضلة الحرب التي لانهاية لها.

(١) ديوان عامر بن الطفيل، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م: ٧٥.

يختار من الاعتساف وركوب الجور والضلال))[1] فهو هنا يفخر بعدله وعدم قبوله للجور، ويبين أنّ تلك القيمة تأتي منه اقتدارا وتمكنا، فهو لا ينقاد للإلف الذي يدعوه للجور، ويضبط نفسه ويروضها على قيمة العدل.

ومن الصور الأخرى التي ذكرها الشعراء للعدل صورة الفخر القبلي بهذه القيمة ،كما في قول سويد بن كاهل اليشكري[2] :

رمـــــــل

مِـنْ أُنــاسٍ لَـيْسَ مِـنْ أَخلاقِهِـمْ عاجِـلُ الفُحْـشِ ولا سُـوءُ الجَـزَعْ

عُــرُفٌ لِلْحَــقِّ مــا نَعْيــا بــهِ عنـدَ مُـرِّ الأَمـرِ مـا فِينَـا خَـرَعْ

يصف الشاعر قومه بصفات عدة ، فهم لا يعجلون بالفحش والمراد بالفحش هنا البخل، وهم صُبُر لا يجزعون، وهم عرف للحق، فهم يصبرون للحقوق إذا نزلت بساحتهم من قرى ضيف أو نهوض في أمر القوم[3] وهذا الصبر وضبط النفس على الحقوق هو نوع من العدل، وهذا العدل هو من صفات سادة القوم ، ومن هنا يتعالق العدل مع الحلم بوصفه قيمة تعتمد في بعض مواطنها على ضبط النفس ، وهي قيمة أساسية في سيادة القوم .

ونجدهم يذكرون العدل في سياق الوصايا والحكم بصفته القيمة الموافقة للموقف الحكيم يقول عدي بن زيد [4]:

---

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٠٥.

(٢) المفضليات: ١٩٤. ، وسويد بن أبى كاهل بن حارثه بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانه بن يشكر بن بكر بن وائل / طبقات فحول الشعراء ١٥٢/١

(٣) شرح اختيارات المفضل ، الخطيب التبريزي(٥٠٢هـ) ، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار الكتب – بيروت ط٢- ١٩٨٧م:٨٨٦/٢.

(٤) ديوان عدي بن زيد: ١٠٧ .

طـــويـــــل

فَـــلاَ تُقَصّـــرَنْ عـــن سَـــعي مَـــن قـــد وَرِثتَـــه ... وَمَـــا اسْـــتَطعْتَ مـــن خَيـــرٍ لنفســـكَ فـــازْدَدِ

وبالعـــــدلِ فـــــانطِقْ إن نطَقـــــتَ، ولا تَلُـــــمْ ... وذا الـــــذّمّ فاذمُمـــــهُ، وذا الحمـــــدِ فاحمَـــــدِ

ولا تَلْـــــــــحِ إلاّ مَـــــــــنْ أَلامَ ولا تَلُـــــــــمْ ... وبالبَـــــذْلِ مـــــن شَـــــكوَى صَـــــديقِكَ فافتَـــــدِ

ففي سياق هذه الوصايا التي توجه بالتزام قيم معينة بنبرة توشي بالحكمة ، يوصي الشاعر بالتزام النطق بالعدل ، وورود العدل في هذا السياق يشير إلى كونه أحد القيم التي يحقق التزامها الحكمة .

نجد العدل مصورا عندهم عندما يكون أخذ الثأر على مقدار مجازي بدون إسراف ولا مبالغة كما في قول طفيل الغنوي [1]:

طـــويـــــل

فَـــذُوقُوا كَمَـــا ذُقْنـــا غَـــداةَ مُحَجَّـــرٍ ... مِـنَ الغَـيْظِ فـي أكْبادِنـا والتَّحَـوُّبِ(*)

أبأنـــا بِقَتْلانـــا مـــن القـــومِ مِـــثْلَهُم ... ومـا لا يعـدُّ مـن أسـيرٍ مُكلّـبِ(**)

(١) ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي ، تحقيق : حسّان فلاح أوغلي ، دار صادر – بيروت -١٩٩٧م: ٤٦.

(*)التحوب ، التوجع، ينظر: المعاني الكبير في أبيات المعاني، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) تحقيق : المستشرق سالم الكرنكوي ، عبد الرحمن بن يحيى بن علي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن ١٩٤٩م :٨٥٢/٢.

(**) المكلب والمكبل سواء في المعني ، ينظر : الاختيارين ،علي بن سليمان بن الفضل الأخفش الأصغر (ت ٣١٥هـ) ، فخر الدين قباو ة ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق - ١٩٩٩ م٤٠.

يقول الشاعر :((كافأنا بقتلانا مثلهم. يقال: باء فلانٌ بفلانٍ يبوء به، إذا كان كفاء به أن يقتل به))[١] فالمكافأة بالمثل من دون تعد وإسراف هو من العدل المشوب بالحلم والحكمة ، فالإسراف في أخذ الثأر قد يؤدي إلى سلسلة من المعارك والقتل لا تنتهي أما الاكتفاء بالمجازاة بالمثل تجعل إمكانية السلم والصلح قابلة للتحقيق .

ومن مظاهر العدل عندهم عدم الحكم على المرء إلا بعد تجربته واختباره يقول أوس بن حجر[٢]:

طـــويـــــل

لاتُظهــرنّ ذمّ امــريء قبــلَ خُبــرهِ وبعـد بـلاءِ المـرءِ فـاذمْ أو احمـدِ

يوجه الشاعر هنا إلى عدم الحكم على المرء قبل التجربة والاختبار ، فذلك هو العدل والانصاف، فلو صدر الحكم بدون تجربة ، لكان حكما ظالما ، يعتمد على أمور ظنية قد تخطيء أو تصيب.

وأحيانا يكون العدل منهم صفة للاعتداد بالنفس والقوة وعدم الاتكاء على الآخرين.

يقول طفيل الغنوي[٣]:

طـــويـــــل

خــلا أنّنـــي قــد لا أقــولُ لمــدبرٍ إذا اختارَ صرمَ الحبلِ هل أنتَ واصلُه

(١) الاختيارين :٤٠.

(٢) ديوان أوس ابن حجر ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر – بيروت ط٢- ١٩٧٩م. ٢٧

(٣) ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي ١١٣

فمن اختار الفراق وصرم الحبل وقطع المودة يجازى بمثل فعله ، فاختياره لا ينقص من قيمة الشاعر، فما للشاعر من قوة واعتداد بالنفس يجعل خيار المفارق أمر خاص به، وتأثيره عليه هو لا على الشاعر.

سابعاً- الحكمة :

الحكمة من القيم المهمة التي تجلت مضامينها في الشعر الجاهلي ، وهذه القيمة تتعالق مع الحلم وبقية القيم الأخرى، فالحكمة((مرجعها إلى العدل والعلم والحلم))[١] .

تعد الحكمة من القيم المهمة لسياسة القوم وزعامتهم؛ لذلك قيل((من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما))[٢] ونجد كثيرا من مضامين الحكمة تتعالق مع قيمة الحلم ، ومن هذه المضامين، التوصية بضبط النفس على الصراحة وعدم تكلف خصال مصطنعة قال حاتم الطائي[٣]:

طـــويـــــل

ومَـنْ يتخِـذ خيمـاً سـوى خـيمَ نفسـهِ يَدَعـهُ ويغلبـهُ علـى الـنفسِ خيمُهـا

يقول حاتم أنّ((ومن تكلف ما ليس من خلقه، أو استبدع خيماً ليس من شأنه، فارقه المستحدث، وعاوده المستقدم))[٤] فعلى المرء أنْ يضبط نفسه على الصراحة والوضوح ويترك الخداع وتكلف ماليس في الطباع ،فإن ذلك مكشوف ومفضوح لا محالة، وهذا لا يعني التزام

(١) العين (حكم): ٦٦.

(٢) لباب الآداب : ٢٣٥.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ١٣٨.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٢٠١.

الصراحة مطلقا بل قد تكون الحكمة في المجاملة ، عندما تكون الصراحة جالبة للمضرة ؛ لذلك قال زهير بن أبي سلمى [١]:

طـــويـــــل

ومَــنْ لا يُصــانعْ فــي أمــورٍ كثيــرةٍ يُضــرّس بأنيــابٍ ويوطــأ بمنسِــم

والحكمة تتضمن طلب كل قيمة محمودة ، فتتعالق معها القيم جميعها يقول أمية بن أبي الصلت[٢] :

طـــويـــــل

خصالٌ إذا لـم ينلهـا المرءُ لـم يكـن لـهُ منــالاً مــن الــدنيا ينــل بــهِ الحَمْـدا

يكـــونُ لـــه جـــاهٌ وعـــزّ وثـــروةٌ وحُسـنُ فعـالٍ حَيـثُ أحضـرَ أو أبْـدى

في هذه الحكمة يقرر أمية بن أبي الصلت أنّ المرء لن يحصل على الحمد وحسن الذكر في حياته وبعد مماته إلا بأن يحرز الجاه والثروة وحسن الفعال، وهذه الخصال لا تتمّ إلا بالتزام أعلى القيم الخلقية.

ومن الحكم التي تتعالق مع قيمة الحلم قول عبدة بن الطيب[٣]:

كـامـــــل

وَدَعُــوا الضَّــغينَةَ لا تَكُــنْ مِــن شــأْنِكمْ إنَّ الضَّـــغائنَ لِلْقَرَابَـــةَ تُوضَـــعُ

وَاعْصُــوا الَّــذِي يزجــي النمــائم بيــنكم متنصـــحا ذَاكَ السِّـــمامُ المُنْقَـــعُ

---

(١) شعر زهير بن أبي سلمى: ٢٦.

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت: ١٦٩.

(٣) المفضليات: ١٤٦.

يُزْجِـــي عَقَارِبَـــهُ لِيَبْعَـــثَ بَيْـــنَكم حَرْبـاً كمـا بَعَـثَ العُـرُوقَ الأَخْـدَعُ

يوصي الشاعر في هذا النص بترك الضغينة وضبط النفس عن كل ردة فعل تسبب ضد الآخر في سياق القبيلة؛ فذلك يؤدي إلى تقطيع الأواصر الاجتماعية ، وفي سياق ذلك يوصي الشاعر بالحذر من كل ما قد يؤدي إلى البغض والضغينة، فيحذر من النمّام الذي ينشر شروره وسمومه في المجتمع بتهييج الضغائن والأحقاد.

ومن مضامين الحكمة الأخرى المتعالقة مع الحلم ما نجده في قول عدي بن زيد[١] :

طـــويـــــل

إذا أنـــتَ فاكَهْـــتَ الرّجـــالَ فـــلا تُلِـــعْ(*) وقُـــلْ مِثـــلَ مـــا قـــالوا ولا تَتَزَنّـــدِ(**)

وَإِيَّـــاكَ مِـــنْ فَـــرْطِ الْمُـــزَاحِ فَإِنَّـــهُ جَـــدِيرٌ بِتَسْـــفِيهِ الْحَلـــيمِ الْمُسَـــدَّدِ

يقدم الشاعر هنا وصية تضمن عدم انحدار الانسان عن رزانته ،فيوصي بعدم الجزع والغضب عند محادثة الرجال ، وعدم توسيع باب الكلام ؛ لأنّ ذلك قد يؤدي إلى تطور وتداعي قد يجرّ الحليم إلى منطق الجاهل ، فيفقد رزانته ، فالأمر الصغير قد يبعث أمراً عظيما ؛ لذلك قال طرفة[٢] :

كامـــــــــل

قـد يبعـثُ الأمـرَ العظـيمَ صـغيرُهُ حتّـــى تظـــلّ لـــه الـــدماءُ تصـــبّبُ

---

(١) ديوان عدي بن زيد: ١٠٥.

(*) لا تلع أي لا تجزع ، ينظر المعاني الكبير: ١٢٦٢/٢.

(**) لا تتزند لا تغضب، يقال للرجل إذا كان سريع الغضب إنه لمزند ومتزند ، ينظر المعاني الكبير: ١٢٦٢/٢.

(٢) ديوان طرفة : ١٢ .

ومن مضامين الحكمة المتعالقة مع الحلم قول قيس بن خفاف[١].

كامـــــــــل

واسْـتَأَنِ حِلْمَـكَ فـي أُمـورِكَ كُلِّهـا وإذا عَزَمْـتَ علـى الهَـوَى فَتَوكَّـلِ

وإذا تَشَـــاجَرَ فـــي فُـــؤَادِكَ مَـــرَّةً أَمْـرَانِ فاعْمِـدْ لِلأَعَـفِّ الأَجْمَـلِ

تدور حكمة الشاعر في هذا النص حول كون الحلم أساسا لكل القيم ، ويشير كذلك إلى ضرورة اختيار الأمر الأنسب في حالة تصارع الخيارات أمام الشاعر ،فعليه أنّ يضبط نفسه، ليكون الخيار محققا للقيمة الأفضل حتّى وإن خالف رغبته.

تدخل قيمة الفطنة في عموم قيمة الحكمة ، والفطنة من القيم التي((تدل على ذكاء وعلم بشيء))[٢] وهذا العلم والذكاء قد يرافق تحقيق وتوظيف أي قيمة من القيم؛ لذلك قيل ((أن التكرم مكيال ثلثاه حسن الفطنة))[٣]، وقال أكثم بن صيفي:((الكرم حسن الفطنة))[٤] ومن أمثال العرب البطنة تذهب الفطنة، أي كثرة الأكل تحدث البلادة[٥]، فالفطنة هنا تعالقت مع قيمة الكرم، فالكرم بنفسه قيمة تدل على ذكاء وعلم يترتب عليها مكاسب وتأثير في المجتمع.

تعالقت الفطنة مع قيمة العفة الموجبة لصفات الشجاعة، فقلة الأكل والعفة عن الإكثار منه تؤدي إلى الخفة والرشاقة والنباهة اللازمة للفروسية، ويمكن القول أن قيمة الفطنة تتعالق

---

(١) المفضليات: ٣٨٥؛ قيس بن خفاف البرجمي شاعر جاهلي: ٢١٢ ؛ ينظر: الشعر والشعراء: ١٦٤/١.

(٢) مقاييس اللغة (ف ط ن): ٥١٠.

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١١١٠.

(٤) نثر الدر في المحاضرات: ١٠٨/٤.

(٥) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٠٧٤.

مع قيمة الحلم عندما يكون الحلم خيار الذكي العالم بمآلات الأمور، يقول أوس بن حجر[١]:

المنسرح

الألمَعــيّ الــذي يظــنُّ لــك الــظ نّ كــأنْ قــد رأى وقــد سَــمِعا

فالألمعي هو المصيب حتّى كأنّه يرى الظن عيانا[٢]، وهذه الألمعية ضرورية في توجيه الحليم للخيار المصيب.

والفطنة مهمة للمرء كي يستمرّ خاصة في جو تكثر فيه الحروب ، وفي مجتمع لا يخلو من النماذج السلبية يقول خفاف بن ندبة [٣]:

كامـــــل

أدعُ الــــدناءَةَ لَا أُلابِـــسُ أَهلَهـــا ولــديَّ مِــنْ كــيسِ الزمــانِ نَصــيبُ

فالفطنة تستلزم الحذر من ملابسة أصحاب القيم السلبية ، والتبصر البعيد بطبيعة الزمان وصروفه ، فالوعي والفطنة والتعقل الدائم لازم لاستمرار المرء محافظا على قيمه قال طرفة[٤]:

مديـــــــد

للفَتـــى عقْـــلٌ يَعِـــيشُ بـــه حيـــثُ تَهْـــدي ســـاقَهُ قَدَمُـــهْ

---

(١) ديوان أوس بن حجر ٥٣

(٢) ينظر :الأمثال ١٠٤

(٣) الأصمعيات ٢٧

(٤) ديوان طرفة ٧٣

ويقول تأبطّ شرا [١]:

طـــــــويل

إِذَا المَـرْءُ لَـمْ يَحْتَـلْ وَقَـدْ جَـدَّ جَـدُّهُ أَضَـاعَ وَقَاسَـى أَمْـرَه وَهُـوَ مُـدْبِرُ

وَلَكِـنْ أَخُـو الحَـزْمِ الَّـذِي لَـيْسَ نَـازِلًا بِـهِ الخَطْـبُ إِلَّا وَهُـوَ لِلقَصْـدِ مُبْصِـرُ

فَـذَاكَ قَرِيْـعُ الـدَّهْرِ مَـا عَـاشَ حُـوَّلٌ إِذَا سُـدَّ مِنْـهُ مِنْخَـرٌ جَـاشَ مِنْخَـرُ

يشير الشاعر هنا إلى ضرورة الفطنة والوعي التام والحيلة فإذا ((ترك المرء الحيلة وقد اشتد به الأمر أضاع أمره، واحتمل الشدة ثم لم يفلح، ولكن الحازم الذي ينظر في العواقب، خير في زمانه فلا يضيع، ومتى سد عليه ما ظهر له طريق آخر يتخلص منه))[٢] فالفطنة قرينة الحلم في مواجهة النماذج السلبية في المجتمع وتخطي عوارض الزمن .

(١) ديوان تأبطّ شرا : ٣٠.

(٢) شرح ديوان الحماسة: ٩٣/٢.

الفصل الثاني

أنمـــــاط الحلـــــــم

المبحث الأول :الحلـــم اقتـــدارا وتمكنـــاً

المبحث الثاني: الحلـــم بوصفـــه ضَعفـــــا

المبحث الثالث: تنوع أبعاد الحلم بتنوع الغرض

المبحث الأول

الحلم اقتداراً وتمكناً

مدخل:

من أرفع مقامات الحلم عن العرب عندما يقترن بالعفو عند القدرة فالعفو مع القدرة أرفع قيمة عند العرب من العفو بدونها[1]؛ لذلك نجد تجليات كثيرة لهذا المقام في مواقفهم ، وأقوالهم ، وأمثالهم ،وأشعارهم ، فمن تلك المواقف موقف قيس بن عاصم أحد حلماء العرب عندما جيء:((بقاتل ابنه فقال: رعبتم الفتى، وأقبل عليه فقال: يا بنيّ لقد نقصت عددك، وأوهنت ركنك، وفتتّ في عضدك، وأشمت عدوّك، وأسأت بقومك؛ خلّوا سبيله؛ وما حلّ حبوته، ولا تغيّر وجهه))[2] لقد استطاع قيس بن عاصم تجاوز أعلى مراتب الغضب ، وممكنات الطيش ،محولاً الغضب والانتقام الممكن إلى نصيحة وحكمة ،فخاطب القاتل بأثر ذلك الفعل عليه وعلى قومه ،فقتل فرد من القبيلة هو انقاص في عددها ، وتمكين العدو من الشماتة والتشفي ؛ لذلك سيكون الأخذ بالثأر، والمعاقبة زيادة في الآثار السلبية التي أنتجتها جريمة ذلك القاتل ، فكان موقف الحلم والعفو هو الموقف الصحيح نظرا لمتطلبات الحياة القبلية ، ونظرا لمقام قيس بن عاصم في قومه وكونه أحد ساداتهم ، فالعفو عند القدرة موقف يُتوقع من ذي المكانة في قومه، فعلى الرغم من ((اهتمام العرب بالقوة وشدة البأس

(١) ينظر :عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع ،دار العلوم – الرياض -١٩٨٥م: ١٩.

(٢) أمالي المرتضى ، الشريف المرتضى (٤٣٦هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار إحياء الكتب العلمية - ١٩٥٤م: ١١٣.

واحتكامهم إلى السيف إلاّ أنهم كانو يتسمون بالحلم ورجاحة العقل والابتعاد عن الحمق والطيش وسرعة الانفعال وكانوا لا يميلون إلى القوة إلا بعد أن تنفذ كل الطرق السلمية))[١].

من أمثالهم في ذلك((مَلكْت فأسْجِحْ الإسْجَاح: حسن العفوِ، أي ملكت الأمر علىَّ فأحْسِنِ العفوَ عني، وأصله السهولة والرفق))[٢] فالانتقام عند القدرة المقترنة بالسلطة يعدّ قيمة سلبية عند العرب ؛ لذلك قالوا: ((إنَّ المقدرة تذهب الحفيظة ... هذا المثل عن رجل عظيم من قريش في سالف الدهر، كان يطلب رجلاً بذحل، فلما ظفر به قال: لولا أنَّ المقدرة تذهب الحفيظة لانتقمت منك ثم تركه))[٣] والحفيظة تعني الغضب[٤] فكون الانسان في موقع القدرة والسيطرة ، وكون المعتدي عليه تحت تصرفه يقلل الغضب ؛لذلك نجدهم في بعض أقوالهم يقصرون الحلم على مقام العفو عند القدرة فقالوا ((ليس الحليم من ظلم فحلم حتى إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفا))[٥] ويبدو أن مقام الحلم عند القدرة من مقامات الرياسة والسلطة عند العرب ،فاتصاف المرء بهذه الصفة يخلق له أنصارا ((قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوّل ما عوّض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره))[٦] فيجب على من يتطلع لرياسة القوم أن يتحلى بتلك الصفة ،فمن نجح في رياسة القوم درّب نفسه وصقلها لتتحلى بصفة الحلم عند القدرة ، فالسيد ((المطاع لم يسهل عليه الكظم ، ولم

(١) القيم الخلقية الاجتماعية للشعر العربي قبل الاسلام من خلال تقويم فني المديح والهجاء ، عبد الحسين الحداد ، ضفاف - الامارات العربية -٢٠١٦م . ١٤٨

(٢) مجمع الأمثال ،الميداني (٥١٨هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة – بيروت د.ت: ٢٨٣/٢.

(٣) الأمثال: ١٥٤.

(٤) ينظر : معجم ديوان الأدب ، الفارابي (٣٥٠هـ) تحقيق : أحمد مختار عمر ، مؤسسة دار الشعب – القاهرة – ٢٠٠٣م :٤٣٢/١.

(٥) العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي (٣٢٨هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت - ١٤٠٤هـ : ١٤١/٢.

(٦) الفاضل ، محمد بن يزيد المبرد (٢٨٥هـ) تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دارالكتب المصرية – القاهرة ١٩٨٥م: ٨٩.

يكن له كنف الحلم ،إلاّ بعد طول التجرّع للغيظ ، ومقاساة الصبر))[1] فالآمل في الرياسة يدعوه ذلك((إلى تكلّف الحلم في بدء أمره وإلى احتمال المكروه في أوّل شأنه... ثمّ لم يتمّ له أمره، ولم يستحكم له عقده إلّا بعد ثلاثة أشياء: الاحتمال، ثم الاعتياد، ثم ظهور طاعة الرّجال))[2] فالحلم متوقع من صاحب السلطة ، فهو من باب الاقتدار في سياسة الرعية قال عامر بن الطفيل[3] :

طـــويـــل

وإنـــي وإن كنـــت ابـــن ســـيد عـــامرٍ وفارســها المشـهور فـي كـل موكـبِ

فمـــا ســـودتني عـــامر عـــن وراثـــةٍ أبـــى الله أن اســـمو بـــأم ولا أبِ

ولكننـــي أحمـــي حماهـــا، وأتقـــي أذاهـا، وأرمـي مـن رماهـا بمنكـبِ

فمن ضمن الأسباب التي ساد فيها الشاعر هي اتقاؤه أذى قومه ، وذلك يتطلب تحمل مايصدر منهم من أخطاء والحلم والصفح ، فمن لا يصبر على أذى قومه لايمكنه سيادتهم، وبذلك يرتبط الحلم عند القدرة بمقام سيادة القوم ، ويشير عامر بن الطفيل إلى أنّه لم يكتسب هذه المقدرة بالوراثة ، بل هي قدرة ذاتية اكتسبها الشاعر من خلال تدريب نفسه على التعامل مع القبيلة، وكسب قلوبهم بالأفعال التي تليق بسيد القوم ، فكان ، يبعد الأذى عنهم ويتحمل آذاهم.

(١) رسائل الجاحظ ،أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي – القاهرة د.ت: ١٧٢/٤

(٢) رسائل الجاحظ: ١٧٣.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ٦٠.

الحلم عند المقدرة صفة غالبا ما تكون ملازمة لسيادة القوم فهي تدور مع صفات السيد أو المُبرّز في قومه ،ونجد ذلك عند زهير بن أبي سلمى في قوله يمدح هرما [1]:

بسيط

هو الجوادُ الذي يعطيكَ نائلَه عفواً ويُظلم أحياناً فيظّلمُ

والمعنى أنّه((يطلب إليه في غير موضع الطلب فيحمل ذلك لهم))[2] فهرم يحتمل من قومه جفاوة الطلب، فلا يردهم أو يغلظ عليهم بل يحتمل ذلك ، فهو سيد القوم وكريمهم ، فلو تصرف معهم بجفاء سيخدش ذلك صفحة السيادة الناصعة التي صنعها هرم ، والإلحاح في الطلب وتقديمه في غير موضعه أمر متوقع من الرعية باتجاه سيدهم، فينبغي له أن يراعي ذلك المقام، فيحلم أمام هذا الفعل.

ويقول دريد بن الصمّة في مدح عبد الله بن جدعان وكان دريد قد هجاه ، فلقيه عبد الله ثم عفا عنه فقال فيه[3].

المتقارب

إِلَيكَ اِبنَ جُدعانَ أَعمَلتُها مُخَفَّفَةً لِلسُرى وَالنَصَب

فَلا خَفضَ حَتّى تُلاقي اِمرَأً جَوادَ الرِضا وحَليمَ الغَضَب

وَجَلداً إِذا الحَربُ مَرَّت بِهِ يَعينُ عَلَيها بِجَزلِ الحَطَب

رَحَلتُ البِلادَ فَما إِن أَرى شَبيهَ اِبنِ جُدعانَ وَسطَ العَرَب

(١) شعر زهير بن ابي سلمى، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ط٣- ١٩٨٠م : ١٠٤.

(٢) المعاني الكبير في أبيات المعاني: ٥٤٠/١.

(٣) ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ،دار المعارف – القاهرة د.ت : ٣٣.

سِـــوى مَلِـــكٍ شـــامِخٍ مُلكُـــهُ لَـــهُ البَحـــرُ يَجـــري وَعَـــينُ الـــذَهَب

فورد الحلم بوصفه الصفة المحورية التي انطلق منها لذكر صفاته الأخرى نتيجة لموقف العفو الذي واجهه به عبد الله بن جدعان ، فصفة الحلم عند المقدرة هنا جذبت إلى الذكر جميع الصفات الأخرى وهي صفات تليق بسيد القوم ، فهو شجاع جلد وكريم ، فسيد القوم متوقع له أن يحلم على قومه حتّى يحوز على قلوبهم وحتّى يصبح حلمه عادة يعرفها قومه يقول الاعشى في مدح قيس بن معد يكرب[١].

من الكامل

عـوّدت كنـدة عـادةً فاصـبر لهـا اغفـر لجاهِلهـا ورقّ سـجالها

وكـنْ لهـا جمـلاً ذلـولاً ظهـرهُ احمـلْ وكنـت معـاوداً تحمالهـا

فتكرار مواقف الحلم والصفح وتحمل جهالها وسفهائها ، جعل ذلك هو الموقف المتوقع من قيس بن معد، فعليه ألّا يخالف ذلك المتوقع كي تستمرّ له السيادة عليهم ، فلو خالف ذلك لاهتزت قيمته وتهشمت صورة العفو والحلم التي رسمها له الرّعية بفضل مواقف سابقة.

ويقول النابغة في مدح غسان حين ارتحل من عندهم راجعا[٢] .

بسيط

هـم الملـوكُ وأبنـاءُ الملـوكِ لهـم فضلٌ على الناسِ في الآلاء والنعمِ

أحـــلامُ عـــاد وأجســـاد مطهـــرةٌ مـــن المَعقّـــة والآفـــات والأثـــمِ

فالنابغة يصفهم بأنّهم سادة وأنّ لهم أحلام عاد وأحلام عاد((مثل عند العرب في رجاحة العقول، قاسوا عقولهم على أجسادهم فاسترجحوها))[٣]، وهذا السياق يشير إلى أن الحلم

(١) ديوان الاعشى الكبير:٢٩-٣٠.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف – القاهرة – ط٢- د.ت :١٠١.

(٣) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) مؤسسة الأعلمي – بيروت – ١٤١٢هـ : ٤٤/٣.

صفة تدلّ على المقدرة في إطار السيادة ، ويوحي وصف حلمهم بأنّه كأحلامِ عاد إلى عراقة هذه الصفة وقوتها وثبوتها فيهم، وذلك يزيد من قيمة اقتدارهم على الحلم.

فالحلم عنصر مهم في السياسة؛ لتتكامل معها صفات المقدرة الأخرى في إدارة شؤون القبيلة أو المجتمع، فالمواجهة المباشرة وعدم التغاضي لا تنجح في إدارة أمور القوم قال الأخوص اليربوعي[١].

طويل

أنـا ابـنُ الـذي سـادَ الملـوكَ حياتـه وسـاسَ الأمـورَ بـالمروءةِ والحلـمِ

فالحلم هو المرجع الذي استند إليه ذلك الممدوح ليسوس الأمور ويسود الملوك ،فهو يمثل القدرة التي جابه بها المواقف المتباينة التي تواجه كلّ من يتصدى لرئاسة القوم .

وورد ذكر الحلم عند المقدرة في سياق الرثاء وتعداد الخصال الخلقية المحمودة للمرثي يقول المهلهل بن ربيعة في رثاء كليب[٢].

وافـــــــــــر

وَإِنَّـــكَ كُنـــتَ تَحلُـــمُ عَـــن رِجـــالٍ وَتَعفـــو عَـــنهُمُ وَلَـــكَ اقتِـــدارُ

وتمنـــــعُ أنّ يمســـــهمُ لســـــانٌ مخافـــةَ مـــن يجيـــرُ ولا يُجـــارُ

(١) خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (١٠٩٣م) .١٦٤/٤ ، والأخوص بالخاء معجمة واسمه زيد بن عمرو بن عتاب ابن هرمى بن رياح بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم شاعر فارس / المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء: ٥٨.

(٢) ديوان مهلهل بن ربيعة ، تقديم : طلال حرب ،الدار العالمية – بيروت د.ت: ٣٢.

يصفه بالحلم عند القدرة ثم يعطف بقوله(وتمنع أن يمسهم لسان) فهو يحلم عنهم ويدافع عنهم فلا يقبل أن ينالهم لسان، فحلمه مع الاقتدار نابع من محبته لقومه ودفاعه عنهم ، فهو لا يقبل أن ينالهم سوء حتّى مع تعديهم عليه.

وذكر صفة الحلم عند الاقتدار في سياق الرثاء لقتيل تسهم في تعزيز مشاعر الأخذ بالثأر، فعرض مواقف المرثي في العفو عند المقدرة يظهر جانب الانضباط والاعتدال في شخصيته، وبالمحصلة ،فإن شخصية بتلك المواصفات لا تبدأ القتال أو تعتدي على أحد كيف وهي شخصية تعفو عمّن تعدى عليها وتتنازل عن حقوقها ،بل تدافع عن من ظلمها.

إنّ توصيل تلك الصورة عن المرثي ستشحن مشاعر أخذ الثأر وتعزز حقيقة القتل ظلما للقتيل المرثي.

ونجد موطنا آخر في الشعر الجاهلي عرضت فيه قيمة الحلم عند المقدرة ، وهو موطن طلب الشفاعة بالتذكير بإمكانية الحلم والعفو للمُستشفَع عنده ، قال عدي بن زيد في حبسه مخاطبا النعمان[1]:

وافـــــــــــر

فـــإن أخطـــأتُ أوْ أوهمـــتُ أمـــراً فقـــدْ يَهِـــمُ المصـــافي بالحبيـــبِ

وإنْ أظلـــــمْ فقـــــد عـــــاقبتموني وإنْ أُظلـــم فـــذلك مِـــن نصـــيبي

وإنْ أهلـــك تجـــدْ فقـــدى وتُخـــذلْ إذا التقـــتِ العـــوالي بـــالخطوبِ

فهـــلْ لـــكَ أنْ تـــداركَ مـــا لـــدينا ولا تغلـــب علـــى الـــرأي المصـــيبِ

فعدي بن زيد يستعطف النعمان مشيرا إلى أنّ العفو، و الحلم هو الحل الاكثر تعقلاً والأليق بسيد القوم، فالشاعر قد نال عقوبته، والتمادي في استمرار حبسه ومعاقبته سيجر آثاراً سلبية غير محمودة، فسيواجه قومه طالبين بثأره، وهذا التلميح الذي قدمه الشاعر يشير

(١) ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق : محمد جبار المعيد ،وزارة الثقافة – بغداد -١٩٦٥م: ٤٠-٤١.

إلى أن النعمان في مجال الحلم عند المقدرة، وتأجيله اتخاذ هذا القرار هو ضد الموقف المُتوقع من السيد المقتدر في قومه.

ونجد النابغة في اعتذارياته يركز على التذكير بالعفو والحلم من النعمان وهو في مقام السيد المقتدر ،فيقول في موطن آخر [١]:

طـــويل

فلســـتَ بمســـتبقٍ أخـــاً لا تلمُّـــه على شـعثِ أي الرِّجـال المهـذَّبُ

فـــإنْ أكُ مظلومـــاً فعبـــدٌ ظلمتَـــه وإن تـــك ذا عتْبـــى فمثلْـــك يُعتِـــبُ

ويريد النابغة أن ((يقول: مثلك يعفو أو يحسن وإن كان عاتباً، وفي كرمك ما تفعلُ ذلك، ولك العتبي والرجوع إلى ما تحبّ))[٢] ، فهو يذكره بقدرته على العفو التي تليق به ، ويعترف بذنبه ويقر للملك النعمان بحقه على العتاب والمعاقبة ، لكن الحلم والعفو هو الكرم المتوقع من السيد الكريم الذي تربطه به علاقة ودّ، وهذا العفو هو الموقف المنطقي بين الصديقين، فلا يوجد الصديق الكامل (أيّ الرجال المهذب)؛ لذلك سيكون العفو والصفح هو الموقف الطبيعي لاستمرار علاقة الصداقة والأخوّة .

وفي موطن آخر يجعل النابغة من صفات القوة والسيادة بابا لتذكير الملك النعمان بخيار الصفح والحلم كما في قوله[٣]:

الوافر

أغيـــركَ معقـــلاً أبغـــي وحصـــناً فـــأعيتَني المعاقـــل والحصـــونُ

(١) ديوان النابغة: ٧٤.

(٢) المصون في الأدب: ١٥٥.

(٣) ينظر :الشعر والشعراء: ١٩٠/١، ولم يرد هذا النص في ديوان النابغة .

فجئتـــكَ عاريـــاً خلَقـــاً ثيـــابي علـى خـوفٍ تظَـن بـي الظنـون

فيصور النعمان بأنه الحصن المنيع الذي لا يماثله حصن، وأن سطوته تصله أينما ذهب، واعتراف الشاعر بقوة النعمان يلمح إلى مناسبة العفو لمن يملك هذه السطوة ، فلا قيمة لمعاقبة إنسان ضعيف معترف بتقصيره وذنبه ، بل الممدوح في هذه الحالة هو الحلم والصفح.

ومن مجالات الحلم اقتدارا التي وردت في الشعر الجاهلي الصمت عند استطاعة الكلام تجنبا لتطور الموقف يقول عدي بن زيد(١).

طويـــــــل

وأطـفِ حـديثَ السـوءِ بالصـمتِ إنّـه متـــى يـــؤرَ نـــارا للهجـــاءِ تأجّجـــا

فالسكوت أمام حديث السوء نوع من الحلم اقتدارا وهو حلم في سياق الحكمة والنظر البعيد، فالصمت عن حديث السوء لمدة قصيرة من الزمن يسد أبوابا من الكلام التي قد تتفرع عنه، وهو يشير إلى مقدرة عالية وانضباط تام، والحلم عن الكلام السيء له تجليات عدة في الشعر الجاهلي يقول المثقب العبدي(٢):

رمـــــــــل

وكـــــلام ســـــيئ قَـــــدْ وُقِـــــرَتْ أُذُنِـــي عَنـــهُ ومـــا بِـــي مِـــنْ صَـــمَمْ

فَتَعَزَّيْـــــتُ خَشـــــاةً أَنْ يَـــــرَى جاهِـــلٌ أَنِّـــي كمـــا كـــانَ زَعَـــمْ

ولـــبَعْضُ الصَّـــفْحِ والإِعْـــرَاضِ عَـــنْ ذِي الخَنَـــا أَبْقَـــى وإِنْ كـــانَ ظَلَـــمْ

(١) ديوان عدي بن زيد ١١٨

(٢) المفضليات ٢٩٤

فالشاعر يبين هنا موقفه من الكلام السيء وهو موقف المتجاهل ترفعا، واسكاتا لمحاورات قد لا تنتهي، كما أنّ الحلم في هذا الموقف هو اللائق بالإنسان الكريم فهو(أبقى) أي أحفظ لقيمة الانسان، فاحتمال ظلم الجاهل أولى من الردّ بمثل ألفاظه وكلامه والانحدار إلى مستواه.

كذلك نجد السموأل يتبنى هذا الموقف إذ يقول[١].

خفيـــف

إنَّ حِلمِـــــي إذَا تغيَّـــــبَ عَنِّـــــي فـــاعْلَمي أنَّنـــي كبيـــرٌ رُزِيـــتُ

فـاجعلنْ رِزقَـي الحـلالَ مـنْ الكسـبِ وبـــرَّاً ســـريَرتي مَـــا حَيِيـــتُ

ضِـيقُ الصَّـدْر بالخيانـــة لَا يـــنقصّ فَقـــري أَمـــانَتي مَـــا بَقيـــتُ

رُبَّ شـــتمٍ ســـمعتُهُ فتصـــاممت وغـــــىّ تركتـــــهُ فكفيـــــت

وهذا الموقف كثيرا ما يقع من الحكماء يروى، يورد الأصفهاني بعضا من تلك المواقف التي رواها العرب، فيقول:((قال رجل للأحنف: إن قلت واحدة لتسمعنّ عشرا، فقال: أنت إن قلت عشرا لم تسمع واحدة. وألحّ رجل على الأحنف بالشتم فلما فرغ قال: هل لك في الغذاء فإنك مذ اليوم تحدو بأحمال ثقال، وشتم سفيه حكيما وهو ساكت فقال: إياك أعني. فقال: وعنك أغضي))[٢] وقال عمرو بن شمر الحنفي[٣].

(١) الأصمعيات: ٨٥.

(٢) محاضرات الادباء: ٢٨٠/١.

(٣) الاصمعيات: ١٢٦؛ وهو عمرو بن شمر بن عمر بن عبد الله الحنفي شاعر جاهلي / معجم الشعراء: ٢٢٤.

الكامل

وَلقــدْ مــررْتُ علــى اللئــيمِ يسـبُّني ... فمضــيْتُ ثُمَّــت قُلْــتُ لَا يعْنينِــي

غَضْــبانَ ممتلئــاً علــيَّ إهابــهُ ... إنِّــي ورَبِّــكَ سُــخْطُهُ يرْضــيني

يَــا ربَّ نكْــسٍ إنْ أتتْــهُ منيَّتــي ... فــرِحٌ وخِــرْقٌ إنْ هَلَكْــتُ حــزينُ

والشاعر هنا يجابه سفيها فيه غضب وعداء، ثم يرد عليه بالإعراض والحلم، والشاعر لا يريد ((أنّ ذلك كان منه مرّةً، ولا أنه لا يعود إليه، وإنّما أراد أنّ ذلك سجيّته أبداً))[1]، فهذه مقدرة و سجية وتمكناً من الشاعر لا حالة عرضية حصلت مرة واحدة.

ويُدخل حاتم الطائي الاقتدار على الحلم ضمن إطار الكرم وحسن المعاشرة كما يظهر في قول الطائي[2]:

وافــــــــر

ومـا مِـن شـيمتي شـتمُ ابـنِ عمّـي ... ومــا أنــا مخلــفٌ مَــن يرتجينــي

وكلمــة حاســدٍ فِــي غيــر جــرمٍ ... ســمعتُ فقلــتُ مــرّي فانفــذيني

فعابوهــا عَلَــىّ ولــم تســؤني ... ولــم يعــرقْ لهــا يومــاً جبينــي

فحاتم الطائي يحلم عن ردّ شتم ابن عمه اقتدارا وتكرما وحفظاً للعلاقات الاجتماعية ، ويشير إلى حلمه عن الحاسد الذي يبث الإشاعة ، ويبين أنّه لا يعبأ بتلك الاشاعات ولا يلاحق مروجيها فهي إشاعات فارغة لا تؤثر بقيمته بوصفه السيد الكريم ، فعدم مطاردته لتلك الاشاعة هو جانب من الحلم والاقتدار .

(١) البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) تحقيق : داود القاضي ، دار صادر بيروت - ١٩٨٨م: ١١١/٨.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ٢٨.

وتتكرر هذه القيمة الخلقية عند حاتم فيقول[١] :

وَعَوراءَ[*] قد أعرضت عنها فَلمْ تَضِرْ وَذِي أَودٍ قَوّمتُـــــهُ فَتقَوّمَـــــا

وأغفِــرُ عَــوراءَ الكَــرِيمِ اصــطِنَاعَهُ وَأُعــرِضُ عَــنْ ذاتِ اللّئِــيمِ تَكَرُّمَــا

فحاتم الطائي يعرض عن الكلمة القبيحة اقتدارا ،فهي لاتضر رجل بمستواه ، ويفصل حاتم الطائي في البيت الثاني غايتين للحلم والعفو ، فعفوه عن الكريم هو ذخر له قال الاحنف بن قيس:((ما ادّخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، شيئا أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب))[٢] فالكريم لن ينسى موقف الحلم الذي يواجه به، ويحفظه كدين يؤديه، أمّا موقف الحلم الثاني ،فهو في مواجهة اللئيم والغاية من هذا الموقف هو الترفع والتكرم عمّا لا يليق.

وحاتم الطائي يركز في شعره على مواطن قدرة الحلم التي تحافظ على تماسك بنية القبيلة، فيقول في موطن آخر[٣].

مـــــن الطـــــويـــــل

وَأَغْفِــرُ أَنْ زَلَّـــتْ بِمَـــوْلَايَ نَعْلُـــهُ وَلَا خَيْـرَ فِـي المَـوْلَى إِذَا كَـانَ يُثْـرِفُ

فالعفو عمّا يرد من سوء من أفراد القبيلة هو التصرف الصحيح من أجل الحفاظ على بنية القبيلة من التفكك أو على أصغر لبنة في القبيلة لبنة الأسرة والقرابة، يقول أوس بن حجر[٤].

---

(١) ديوان حاتم الطائي: ٨٣.

(*) العوراء الكلمة القبيحة / تاج العروس (ع و ر): ١٥٩.

(٢) العقد الفريد: ١٩٤/١.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ٧٤.

(٤) ديوان أوس ابن حجر: ٨٢.

الطـــــويـــــل

ألا أعتــبُ ابــن العــمّ إنْ كــان جــاهلا وأغفرُ عنــهُ الجهـل إنْ كـان أجهـلا

وإن قــال لــي مــاذا تــرى يَسْتشــيرُني يجدْني ابنُ عمٍّ مِخْلطَ الأمرِ مِزْيَلا

يواجه الشاعر هنا مايجده من نقص في ابن عمه ،فيتغاضى عن جهله ، فلا يعتب عليه أو يعنفه، بل يتحمل آثار ذلك الجهل عندما يواجه به ابن عمه ويغفر ويحلم في سبيل استمرار متانة اللحمة والقوة في البناء المجتمعي ذلك البناء القائم على نصرة ابن العم مطلقاً.

وقد يتجلى الحلم عند المقدرة في الشعر الجاهلي على شكل توجيهات يوجهها الشاعر، ويبين فيها أنّ العفو والحلم من المقتدر هو الخيار الأنسب، قال أوس ابن حجر[1]:

طـــــــويل

أياراكبــــاً إمّـــا عرضـــتْ فـــبلغْن يزيــدَ بــن عبــدالله مــا أنــا قائــلُ

بآيـــةِ أنّـــي لـــم أخنـــك وأنّـــه سـوى الحـقّ مهمـا ينطـق النـاسُ باطـلُ

فقومـــكَ لاتجهـــلْ علـــيهم ولا تكـــن لهـــمْ هرشـــاً *تغتـــالهم وتقاتـــلُ

ومـــا يـــنهضُ البـــازي بغيـــرِ جناحـــهِ ولا يحمـــلُ الماشـــين إلاّ الحوامـــلُ

ولا ســـــابقٍ إلاّ بســـــاقٍ ســـــليمةٍ ولابـــاطشٌ مـــالم تعنـــهُ الأنامـــلُ

إذا أنـــتَ لـــم تعـــرضْ عـــن الجهـــلِ والخنـــا أصـــبْتَ حليمـــاً أو أصـــابكَ جاهـــلُ

يرسل أوس بن حجر رسالة إلى يزيد بن عبد الله يصحح فيها موقفا مغلوطا وصل عنه ، ثم يوجهه نحو الحلم الذي يليق بوصفه إنسانا مقتدرا له قيمته في قومه ،وذلك هو المتوقع من هذا النوع من الشخصيات، فيوجهه ألّا يجهل على قومه ،والجهل نقيضه الحلم

(١) ديوان أوس بن حجر: ٩٩.

(*) والهرش هو سيء الخلق / تاج العروس (هرش): ٤٩٥.

،كما ينهاه أن يكون(هرشا)، فيجب الحلم عن أي سوء يعرض من أفراد المجتمع ثم يقدم أوس بن حجر تلخيصا لنصحيته بقوله :

إذا أنتَ لم تعرضْ عن الجهلِ والخنا أصبْتَ حليماً أو أصابكَ جاهلُ

أي إذا لم((تحلم وقعت بين أمرين رديئين إما صبت حليماً فسفهت عليه فأسأت أو أصابك جاهل فسفه عليك وأساء عليك))[1] فعدم الحلم هو تفريط في القدرة المُفترضة من سيد القوم ،فيكون عرضة لخسارة الجميع، فيخسر الحليم عندما يتهاوى أما حلمه فيسفه عليه، وأمام السفيه عندما يجهل أمام جهله

ويتجلى الحلم عند المقدرة في بعض صور الهجاء غير المقذع عندما ينزع الشاعر تلك الصفة من المهجو ليلمح إلى أنّه غير مؤهل لسيادة قومه ، فلما ((قدم النابغة بعد وقعة حسي سأل بني ذبيان: ما قلتم لعامر بن الطفيل وما قال لكم؟ فأنشدوه، فقال: أفحشتم على الرجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك، ولكني سأقول، ثم قال :))[2].

وافـــــر

فإن يكُ عامر قد قال جهلاً فإن مظنةَ الجهلِ الشبابُ

فكنْ كأبيكَ أو كأبي براء توافقكَ الحكومةُ والصوابُ

فلا يذهبْ بحلمكَ طامياتٌ من الخيلاءِ ليس لهنّ بابُ

فإنّك سوفَ تحلمُ أو تناهى إذا ما شبتَ أو شابَ الغرابُ

فلما بلغت القصيدة عامر بن الطفيل قال:((ما هجاني أحد حتى هجاني النابغة، جعلني القوم رئيساً، وجعلني النابغة سفيهاً جاهلاً وتهكم بي))[3] ففي هذه الأبيات لم يعمد النابغة

(١) المعاني الكبير في ابيات المعاني: ١٢٦٤/٣.

(٢) العمدة في محاسن الشعر: ١٧٢/٢ ؛ ديوان النابغة الذبياني: ١٠٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٧٢/٢.

إلى أسلوب الإقذاع المعروف في الهجاء فيصفه بالحمق ثم يصغره عن طريق تفضيل أبيه وعمه عليه ويجعل حلمه مقروناً بمشيب الغراب[١] فسلبه أمكانية الحلم المقرون بسيادة القوم، وهو الحلم الذي يأتي عن مقدرة وتمكن.

ومن مواطن تجلي الحلم التي تفرض مقاما من التمكن والقدرة الحلم عن الحمقى أو الأغبياء وما شابههم من نماذج لايخلو منها أي مجتمع من ذلك قول زهير[٢].

طويل

وذي خطـلٍ فـي القـولِ يحسـبُ أنّـه مصـيبٌ فمـا يُلمـمْ بـهِ فهـو قائلُـهْ

عبـأتَ لـهُ حلمـاً وأكرمـتَ غيـرهُ وأعرضْـتَ عنـهُ وهـو بـادٍ مقاتلُـه

والخطل((خفةٌ وَسرعة يُقَال للأحمق العَجِل: خطِلٌ))[٣] وعبأت له مأخوذ من عبأت له الرمح أي هيأته له[٤]، فكأنّ الشاعر يجابه هذا الاحمق بسلاح الحلم وهو مستعد مقتدر، ويتبع الشاعر هنا ستراتيجية في التخلص من ذلك الجاهل، فهو يهمله ويتجاهله ويتجه نحو من يستحق الحديث والمحاورة ، ويترك يقاتل بخطله الفراغ، فالشاعر هنا يوضح آلية اقتداره في الحلم عن الخطِل وهي آلية تنم عن الحكمة في إدارة الحديث في المجالس والتعامل مع جميع أصناف الناس. فالحلم في إطار الحكمة سلاح يستعمله زهير لمواجهة المجتمع وما يوجد فيه من نماذج لا تنجح معها المواجهة المباشرة فيقول في موطن آخر[٥]:

---

(١) ينظر :تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ،دار المعارف – القاهرة -١٩٩٥م:٢٩٧/١.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٥٩.

(٣) تهذيب اللغة (خطل): ١٠٦.

(٤) ينظر شرح ديوان الحماسة ، التبريزي (٤٠٢هـ) دار القلم – بيروت د.ت: ٢٩٨.

(٥) شعر زهير بن أبي سلمى: ٢٦٢.

الطويل

وفي الحلم إدهانٌ وفي العفوِ دربةٌ وفي الصدقِ منجاةٌ من الشرِّ فاصدُقِ

إذ استعمل هنا سلاح الحكمة((لتقوية ما اعوج ، فهادن مرة وأظهر القوة والبأس مرات أخرى إذا ما دعت الحاجة لذلك))[١] فهو يعرض صورا عدة من صور اقتداره وتمكنه من مواجهة جميع الاصناف بطرق عدة والحلم أحد هذه الطرق .

والحلم بوصفه نوعا من القدرة في المجالس كان له نصيب في الشعر الجاهلي كما نجد ذلك في قول طرفة[٢]:

رمـــــــل

يَزَعــــونَ* الجَهــــلَ فـــــي مَجْلِسِـــــهِمْ وهُـــمُ أنصـــارُ ذي الحِلـــمِ الصَّـــمَد

حُـــبُسٌ فـــي المَحْـــلِ، حتـــى يُفسِـــحوا لابتِغـــاءِ المجـــدِ، أو تَـــركِ الفَنَـــد

سُـــــمَحاءُ الفَقـــــرِ، أجـــــوادُ الغِنـــــى ســـادة الشِّـــيبِ، مَخـــارِيقُ المُـــرُد

فالسياق هنا سياق تعداد بعض القيم الخلقية التي اختص بها هؤلاء القوم ومن ضمنها المقدرة على تغليب الحلم على الجهل في المجلس فهم يزعون الجهل ويناصرون ذا الحلم ، وبهذه الطريقة في توجيه دعم الحديث في المجلس سيصمت الجاهل ، فلا مجال له في الكلام ؛ ليتصدر الحليم المجلس ويكون حديثه هو الخطاب الأساس .

وقد أورد بعض الشعراء الجاهليين صورة للحلم يكون فيها مقتدراً في ناحية ؛ ليدخل الردّ في ناحية أخرى كما نجد ذلك عند زيد بن مخرم بن حزن بن زياد الحارثي من بني

---

(١) التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى ، عصام لطفي صبّاح ، الأكاديميون للنشر والتوزيع - عمان -٢٠١٧م: ١٣٦.

(٢) ديوان طرفة بن العبد: ١٤١.

(*) يزعون الجهل أي يمنعونه تاج العروس (وزع): ٣١٨.

الحارث بن كعب المعروف بابن فكهة وهو يخاطب ابن حريم الهمذاني يرد عليه هجاءه[1].

وافر

ألا أبلغ بني همدان عنّي ... رسالةَ ماجدٍ واري الزنادِ

بأنّ شويعراً منكم أتاني ... له قولٌ يُقالُ بلا سدادِ

يسامي معشراً كثروا وعزوا ... وغاراتٍ كمرسلة الجرادِ

فلست بقائل هجراً ولكن ... ستعلمُ أي مِرادةٍ تُرادي

متى ما تلقني تعلمْ بأنّي ... شديد الأسر طلاع النجادِ

فالشاعر هنا يحلم عن الردّ شعراً، فما أمامه هو مجرد(شويعر) سيكون الحلم عن الرّد عليه بسلاح الشعر هو الأفضل، فهو بمنزلة السفيه الذي تُدني ملاسنته من قيمة الشاعر؛ لذلك يفضل الشاعر الرّد في ساحة المعركة.

نجدهم في بعض النصوص الجاهلية يجعلون الحلم صفة من صفات القدرة لقومهم يقول ابن الإطنابة في وصف قومه[2]:

الكامل

والخالطين فقيرهم بغنيّهم ... والباذلين عطاءهم للسائلِ

لا يَطبَعون وهم على أحسابِهم ... يشفونَ بالأحلام داءَ الجاهلِ

---

(١) معجم الشعراء ٤٧٩ ، مخرم بن حزن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيع بن كعب ابن الحارث بن كعب جاهلي يعرف بأمه فكهة بن بكر بن وائل / معجم الشعراء : ٤٧٢.

(٢) معجم الشعراء ٢٠٣ ، وابن الاطنابة هو عمرو بن الإطنابة وهي أمه وأبوه عامر بن زيد مناة بن عامر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان من بني القين بن جسر وكان أشرف الخزرج / معجم الشعراء: ٢٠٣.

القـــائلينَ ولا يعـــابُ خطيـــبُهم يـــومَ المقامـــةِ بـــالكلامِ الفاصـــلِ

يعدد ابن الإطنابة هنا بعض القيم الخلقية لقومه في سياق من الفخر والاعتزاز مما يشير إلى أنّ تلك القيم ناتجة عن اقتدار وتمكّن في قومه، ومن ضمن هذه القيم قيمة الحلم، أمام الجهل، ويصور ابن الإطنابة حلمهم بأنّه شفاء للجاهل، فهو حلم إيجابي يعالج هذه النماذج في المجتمع ويحتويها.

ويقول الربيع بن أبي الحقيق[1]:

السريع

ســـائِل بنـــا خـــابِرَ أَكفائِنـــا والعِلـــمُ قـــد يُلفـــى لـــدى الســـائِلِ

لســـنا إذا جـــارت دواعـــي الهـــوى واســـتمعَ المنصِـــتُ للقائِـــل

واعـــتلجَ القـــومُ بألبـــابِهِم بقابـــلِ الجـــورِ ولا الفاعِـــل

إنّـــا إذا نحكـــمُ فـــي ديننـــا نرضـــى بحكـــم العـــادلِ الفاصِـــلِ

لا نجعـــلُ الباطـــلَ حقّـــاً ولا نلـــظُّ دونَ الحـــقِّ بالباطِـــلِ

نَخـــافُ أن تســـفَهَ أحلامُنـــا فنخمُـــلَ الـــدهرَ مـــع الخامِـــلِ

فيعرض قيما خلقية عدة لقومه تدور في إطار العقل والحكمة ، وأنّ تلك الصفات هي ما يتميّز به قومه ، وهي قوام حلمهم ؛ لذلك يحافظون عليها كي لا ينحدرون إلى درجة السفه ، فيكونون في خانة الخاملين الذين لا ذكر لهم .

(١) لباب الآداب: ٣٥٨ الربيع بن أبي الحقيق من بني النضير من شعراء المدينة / طبقات فحول الشعراء: ٢٨١/١ .

المبحث الثاني

الحلـــم بوصفـــه ضَعفـــا

ذكرنا في المبحث السابق مضمونا مهما من مضامين الحلم وهو كون الحلم قد يشير إلى المقدرة ، والحكمة المتعلقة بسيادة القوم، كذلك كون الحلم سلاحا يتقي به العربي ما يعترضه من نماذج مختلفة في المجتمع ، يتطلب التعامل معهم قدرا من الحلم ، يتخلص به الشاعر من المواقف التي تفرض عليه تخلصا يجعل الحياة والعلاقات الاجتماعية تستمر، كما ذكرنا أنّ وجود تلك الصفة تدل على سمو الذات، وتمكنها من ضبط وجودها ، فليس كل إنسان قادرا على الحلم حتّى وإن أراده ورآه التصرف الأفضل، لكن العربي لم ينحاز دوما إلى موقف الحلم ، فقد يكون ذلك الموقف متصادما مع بعض العادات، والقيم التي اختمرت في ذهنه، فيكون الانحياز إلى الحلم عندها ضعفا ، فالطيش كان ((خلقا شائعا في الجاهلية حيث لا حكومة تردع ولا قوانين تمنع وحيث يعتقد كل امريء في نفسه السيادة والسمو والقوة وعراقة المحتد))[١] وهذا الطيش وعدم الحلم كان محمودا عندهم خاصة في مواطن الأخذ بالثأر، فكان همّ الأخذ بالثأر يُغير في حياة العربي ويعدل في مراتب درجات القيم ، وفي أمثالهم ((لا ينام من أثأر أي من طلب الثأر حرم على نفسه الدعة والنوم، يضرب في الحث على الطلب))[٢] فمن يطلب الثأر يصبح إنسانا آخر بقيم جديدة؛ لذلك نجدهم لا يتورعون في المبالغة بالأخذ بالثأر ، فيوسعون من دائرة الاشخاص الذين ينالهم العقاب ، فلا تقتصر جريرة الثأر((على القاتل نفسه بل تصيب أبناءه واخوته واسرته وكل

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي،أحمد محمد الحوفي ،مكتبة نهضة مصر – القاهرة ط٢-١٩٥٢م: ٢٧٢.

(٢) مجمع الامثال: ٢٢٧/٢.

قبيلته))[١] وعلى الرغم من بشاعة الافعال التي ترتكب باسم الثأر إلاّ أن هناك بعض النفع ينتج عند التفكير بما قد يجره فعل القتل على الجاني ،فكان الثأر((يكبح من جماح بعض الحمقى الذين تسيرهم شهوات القتل والقسوة))[٢].

كان لطبيعة الحياة والمجتمع العربي في العصر الجاهلي ، وما يشهده من معارك مستمرّة وثارات متوالدة أثر في تفضيل موقف اللاحلم في بعض المواطن وعدّ موقف الحلم ضعفا ولينا غير محمود فلابد ((لهذا المجتمع الحربي من القوة ؛لأنها السبيل الوحيد للحياة الكريمة ، وهم يحتقرون الضعف احتقارهم الجبن ؛لأنه مظهر الذلة والهوان))[٣] ؛ لذلك نجد معنى عدّ الحلم ضعفا يتجلى في بعض أقوالهم، فمن أمثالهم ((الْحليمُ مَطيَّة الجهُولِ ،أي الحليمُ يتوطأ للجاهل فيركبه بما يريد، فلا يجازيه عليه كالمطية ، يضرب في احتمال الحليم))[٤]، فتصوير الحليم بهذه الصورة يوحي بدلالات الهوان وأنّ اختيار الحلم مطلقا قد يوحي بالضعف ؛ لذلك قيل: ((من عرف بالحلم كثرت الجرأة عَلَيْهِ، وَقلت الهيبة لَهُ))[٥] ، فاشتهار الانسان بالحلم وكونه التصرف المتوقع منه قد يجعله عرضة لكل تصرف يقلل من قيمته ؛ لذلك قالوا ((الشهرة بالملاينة والخير شرّ من الاشتهار بالغلظة والشر لأن من عرف بالخير اجترأ عليه الناس، ومن عرف بالشّر هابه الناس وتجنّبوه))[٦] ولتجنّب تهمة الضعف عند اتخاذ موقف الحلم نجد بعضهم يتحرى موقف الحلم عندما يكون في مواجهة من هو

(١) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة – بغداد -١٩٨٦م:٦٦.

(٢) الحياة العربية من الشعر الجاهلي: ٢١٦.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ٦٥.

(٤) مجمع الأمثال: ٢١١/١.

(٥) تحسين القبيح وتقبيح الحسن ،أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) ، تحقيق : نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الارقم – بيروت د.ت: ٥٩.

(٦) محاضرات الادباء: ٢٩٩/١.

مثله أو أضعف منه أما عند مواجهة من هو اقوى ، فيلجأ إلى خيار اللاحلم، ومن شواهد ذلك عندما((أغضب زيد بن جبلة الأحنف، فوثب إليه فأخذ بعمامته وتناصبا، فقيل للأحنف: أين الحلم اليوم فقال: لو كان مثلي أو دوني لم أفعل هذا به))[١]، فالأحنف المعروف بحلمه تخلى عنه عندما واجه من هو أقوى منه أو يظن أنه أقوى، فلو لجأ في هذا الموقف إلى خيار الحلم لكان مظنة للاتهام بالضعف، وأن موقفه لم يكن عن حلم، وإنّما عن جبن وضعف في مواجهة من هو أقوى منه.

وقد يكون موقف الحلم مُطمعا لبعض نماذج المجتمع من الاجتراء والتعدي على الحليم، فقد يغريهم موقف الحلم من التمادي إلى أنْ يظهر الحليم بصورة الضعيف ((قال أبو عبيد: والعامة تقول: ليس للئيم مثل الهوان ،أي انك إنَّ دفعته عنك بالحلم والاحتمال اجترأ عليك وإنَّ أهنته خافك ، فأمسك عنك، وقال بعض الماضين: ادفع الشر بمثله إذا أعياك غيره))[٢] فالحلم المستمر قد يشكل صورة لدى الآخر أنّ ذلك الحليم ضعيف ؛ لذلك قالوا: ((الحليم ذليل عزيز وذلك أن صورة الحليم صورة الذليل الذي لا انتصار له واحتمال السفه والتغافل عنه في ظاهر الحال ذل وان لم يكن به))[٣] .

إنّ رسم صورة عدم الحلم والطيش تمثل سلاحا إعلاميا، فرسم الشاعر نفسه أو قبيلته بصورة من لا يتورعون عن مجابهة الفعل بفعل أقوى منه، وعدم الاكتراث بالعواقب يوصل رسالة مُرعبة تجعل من ينوي الاعتداء يراجع موقفه؛ لذلك نجد الشعراء في وصف طيشهم

(١) عيون الأخبار، قتيبة بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت -١٤١٨هـ: ٤٠٠/١.

(٢) الأمثال لابن سلام: ٣٥٨.

(٣) ديوان المعاني:١٣٣/١.

وقوتهم في الرّد يصلون ((إلى مستوى من التخيل الذي يتجاوز درجة الخيال العادي ليصل مرحلة الوهم أو الايهام))[١].

وعلى وفق ما تقدم كان من الطبيعي أنّ نجد مضمون الحلم بوصفه ضعفا متجليا في الشعر الجاهلي خاصّة ، وأنّ هذا المضمون غالبا ما يردّ في مقام اظهار القوة ،والتفاخر، ومن تجليات هذا المضمون ماوجدناه من دمجهم موقف الحلم بإمكانية الطيش والفتك ، وأن تقديمهم لموقف الحلم ليس من باب الضعف ، ولا يعني تنازلا عما يحفظ هيبتهم وسمعتهم ، يقول الفند الزماني[٢] :

هـــــزج

صـــــفحنا عَـــن بنـــي ذهـــل وَقُلْنَـــــا القَـــــوم إخْـــــوَانُ

وَعَسَـــــى الْأَيَّـــــام أَن يرجـــع نَ قومـــــا كَالَّـــــذي كَـــــانوا

فَلَمَّـــــا صـــــرّح الشَّـــــرّ فأمســـــى وَهُـــــوَ عُرْيَـــــانُ

وَلـــم يبْـــق ســـوى الْعـــدوا ن دنـــــاهم كَمَـــــا دانـــــوا

الشاعر هنا عرض موقف العفو والصفح عن هؤلاء القوم مراعاة لصلة القرابة التى كانت دافعا في تقديم موقف الحلم والعفو انتظار أن يرجعوا إلى الصواب ، ويعودوا عن موقف العدوان[٣] لكن لما تجاوز هؤلاء القوم ((الأحوال المتشابكة، والأخذ بالإنصاف

(١) جديلة القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة ،بو جمعة بوبعيو ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق -٢٠٠٢م: ٦١.

(٢) شعر الفند الزماني ، تحقيق :حاتم صالح الضامن، مفروز من مجلة المجمع العلمي العراقي ،ج٤، مج٣٧ -١٩٨٦: ٢٥ ؛ والفند الزماني هو ((شهل بن شيبان قيل سمي الرجل الفند لعظم خلقته تشبيهاً بفند الجبل وهو قطعة منه واسمه شهل فهو لقب له)) المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ، أبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ) تحقيق : مروان العطية ، شيخ الزايد ، دار الهجرة – دمشق – ١٩٨٨م: ٧٠.

(٣) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي:٢٧.

والمعدلة، إلى استعمال الظلم ورفع الحشمة، حينئذ جازيناهم بمثل ما ابتدءونا))[1] فموقف الحلم له حدود يضع تجاوزها العربي أو قبيلته في مقام الضعف ، والشاعر هنا يمزج بين موقف الحلم، وموقف اللاحلم ليبين أن موقف الحلم هو موقف قوة لا ضعف وأن القبيلة مستعدة تماما لمواجة الخيار الثاني وتحمل عواقبه .

ومثل هذا المضمون نجده عند قيس بن الخطيم في قوله[2] :

طويـــــل

دَعَـوْتُ بَنـــي عَـوْفٍ لِحَقْـنِ دِمَـائِهِمْ فَلَمّـا أَبَـوا سـامحتُ فـي حَـرْبِ حَاطِـبِ
وَكُنْـتُ أَمـرأً لا أَبْعَـثُ الحَـرْبَ ظالِمـاً فَلَمّـا أَبَـوْا أَشْـعَلْتُ مـن كـلّ جَانِـبِ
أَرِبْـتُ بِـدَفْعِ الحَـرْبِ لَمّـا رَأَيْتُهـا عـن الـدّفْعِ، لا تَـزْدَادُ غَيْـرَ تَقَـارُبِ
إذا لـم يَكُـن عَـنْ غَايَـةِ الحَـرْبِ مِـدْفَعٌ فَـأَهْلاً بِهَـا إذْ لَـمْ تَـزَلْ فـي المَراحِـبِ
فَلَمّـا رَأَيْـتُ الحَـرْبَ حَرْبـاً تَجَـرّدَتْ لَبِسْـتُ مَـعَ البُـرْدَيْنِ ثَـوْبَ المُحـارِبِ

ففي هذا النص يفتخر الشاعر أنّه داع للسلام ، وأنّه ليس ممن يشعلون الحرب ظلماً ،لكن إذا ما أبى الأعداء وتمادوا وأصروا، فلن يتقاعس الشاعر أمام ذلك وسيشعل الحرب [3] بل سيكون الشاعر مستعدا أتم الاستعداد مرحبا بها لابسا درعه ، فكان عرض استعداد الشاعر لخيار الحرب موضحا أن طرح موقف الحلم لم يكن عن ضعف أو جبن أو خوف ،

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٢٩.

(٢) ديوان قيس ين الخطيم ، تحقيق:إبراهيم السامرائي ،إحمد مطلوب ، مطبعة العاني – بغداد ١٩٦٢م : ٣٢ ؛ وقيس بن الخطيم اسمه ثابت بن عيدي بن عمرو بن سواد بن ظفر وهو كعب بن الخزرج بن عمرو وهو النبيت بن مالك بن الأوس بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن ابن الأزد)) معجم الشعراء: ٣٢١.

(٣) ينظر: قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار، وعبد المنعم خفاجي ،مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة ، د.ت :٤٣٢.

بل عن حكمة وتعقل تجنبا لخسارة ممكن تفاديها بالركون إلى السلم ، فعندما يستعد الشاعر لكلا الخيارين يبعد عن نفسه موقف الضعف.

نجد ذلك المضمون موظفا في أشعارهم عن عرض الصفات الخلقية المحمودة ، يقول لبيد في الرثاء[١].

وافـــــــر

إن اقتصـــــدوا فمقتصـــــدٌ أريـــــبٌ وإن جـــاروا ســـواء الحـــقّ جـــارا

فحلمه ليس عن جهل بل هو قادر على الرد ، وإنّما يواجه الأمور بالمثل ومضمون التلويح بالمجازاة بالمثل لا بعاد كون الحلم موقف ضعف كما نجده عند عمرو بن كلثوم[٢]

وافـــــــر

أَلَا لَا يَعْلَـــــمُ الأَقْـــوَامُ أَنَّـــــا تَضَعْضَـــعْنَا وَأَنَّـــا قَـــدْ وَنينـــا

ألا لا يجهلـــــنْ أحـــــدٌ علينـــــا فنجهـــلُ فـــوقَ جهـــلِ الجاهلينـــا

أي ((لا يسفهن أحد علينا فنسفه عليهم فوق سفههم، أي نجازيهم بسفههم جزاء يُرْبِي عليه))[٣] فيقدم عمرو بن كلثوم قدرة القبيلة على المجازاة بالمثل نفيا لتوقع التضعضع والضعف ، ومن ثم الركون إلى خيار الحلم ،فيكون في تلك الحالة حلما نابعا عن موقف هوان وانهزام وضعف .

نجد مضمون المجازاة بالمثل نفيا لموقف الضعف المُقنع بالحلم في قول الخنساء[٤].

---

(١) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق : إحسان عباس ، التراث العربي – الكويت -١٩٦٣ :١٦٧.

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ، تحقيق :أيمن زيدان ، النادي الادبي – الرياض -١٩٩٢م: ٣٣٠.

(٣) شرح المعلقات السبع : ٢٢٦.

(٤) ديوان الخنساء بشرح ثعلب ، تحقيق :أنور أبو سويلم ، دار عمان – الاردن -١٩٨٨م . ١٠٨

متقـــــارب

نَلـــــينُ إذا يبتغـــــى لينـــــا وإنْ عـــادتِ الحـــربُ عـــدنا لهـــا

فلو وجدت هناك فرصة للصلح لن ترفضها قبيلة الشاعرة ،لكنّ هذا القبول ليس خوفا من الحرب ، فمتى ما عدل الآخرون عن نية السلم ،فإن القوم على أتم الاستعداد للمواجهة وتحمل أعباء الحرب وتبعاتها .

ويقول عنترة في المضمون نفسه[١]:

كامـــــــل

اثنـــي علـــيّ بمـــا علمـــت فـــإنني سـمح مخـــالطتي إذا لـــم أظلـــم

فـــإذا ظلمـــت فـــإن ظلمـــي باســـلٌ مـــرّ مذاقتـــه كطعـــمِ العلقـــمِ

يشير إلى أنه سيعاقب من ظلمه عقابا بالغا يكره كما يكره طعم العلقم [٢] فعنترة على الرغم من تمتعه بكثير من القيم الخلقية الرفيعة ، من فروسية ، وبذل للنفس في سبيل قومه وتسامح ، إلا أنه لا يستكين لمن ظلمه [٣] واعلان عنترة لذلك في شعره هو بمثابة توضيح أنّ مايقدمه من مواقف الحلم نابعة عن قوة واقتدار ، لا عن جبن وضعف ، وعدم احتمال لآثار خيار اللاحلم .

وقد نجد الشاعر يوضح مصدر قوته في كون خيار اللاحلم مطروحا عنده ، كما في قول الشنفرى[٤].

---

(١) ديوان عنترة: ٢٠٥.

(٢) ينظر : شرح المعلقات السبع : ٢٥٥.

(٣) ينظر : تاريخ الادب العربي: ٣٧١/١.

(٤) ديوان الشنفرى ،تحقيق : إميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي –بيروت ط٢-١٩٩٦م:٣٨.

طويـــــــل

وإنّـــي لحلـــوٌ إنْ أريـــدَ حلاوتـــي ... ومـــرّ إذا نفـــسُ العـــدوّ اســـتمرّتِ

أبـــيّ لمـــا يـــأبى ســـريعٌ مبـــاء تـــي ... إلـى كـل نفسٍ تنتحـي فـي مسـرتي

ولـــو لـــم أرم فـــي أهـــل بيتـــي قاعـــداً ... أتتنـــي إذن بـــينَ العمـــودينِ حُمّتـــي

فهنا يقرن تهوينه لخيار اللاحلم بكونه لا يخشى الموت فيقول: ((لست حريصًا على الحياة، فإذا جاءني الموت فلن أعبأ به، ولن أرضى أن يثير موتي مشاعر أحد حتى ولو كان من أرهف أقاربي شعورًا نحوي فإني أؤمن بأن الموت حتم، ولو أني لم أخرج للكفاح وملاقاة الأخطار، وحبست نفسي في بيتي وبين أهلي فسوف يدركني موتي ولن تستطيع أية قوة أن تبعده عني متى انتهى أجلي. وإني لسهل لطيف لمن يكون معي سهلًا لطيفًا، ومرّ شديد المرارة لمن عاداني))[1].

ومن المضامين الاخرى التي تندرج تحت كون خيار الحلم قد يوحي موقف الضعيف، ما نجده من التزام رأي القبيلة حتّى لو كان هذا القرار قرارا طائشا قد يؤدي إلى ويلات وكوارث ، فكونه قرار القبيلة ،يجعله القرار الصائب والالتزام به واجب ، وخيار الحلم ضد قرار القبيلة يعد جهلا وضعفا وجبنا حتّى لو عُلم أنه خطأ ، ومن النماذج على هذا المضمون قول دريد بن الصمة[2] :

طويـــــــل

أمـــرتُهُمُ أَمْـــرِي بُمنعـــرجِ اللِـــوَى ... فلَـمْ يستبينُوا الرُشـدَ إِلَّا ضُـحى الغـدِ

فلمَّـا عصَـوني كنْـتُ مـنهُمْ وَقـد أرَى ... غـــوايتَهُمْ وأنَّنـــي غيـــرُ مُهتَـــدِ

ومَـا أنَـا إِلَّا مـن غَزِيَّـةَ إنْ غـوَتْ ... غويْـتُ وإنْ تَرشُـدْ غزَّيَـةُ أرشُـدِ

(١) في تاريخ الادب الجاهلي ، علي الجندي ،دار التراث العربي– القاهرة -١٩٩١م: ٤٤٣.

(٢) ديوان دريد بن الصمة: ٦١.

والشاعر في هذه القصيدة يرثي أخاه خالدا ، ويذكر أنه قدم النصح لقومه فلم يستجيبوا له فوقع أخوه في تلك المعركة صريعاً[١] والمعنى الذي يريده الشاعر قوله : ((الما لم يمتثلوا أمري ولم يقبلوا نصيحتي سلكت مسلكهم عالما أنهم على غير هدى وأنني غير مصيب فيما سلكته إلا أن الرحم والقرابة دعتني إلى الذود عنهم))[٢] ،فعلى الرغم من معرفته بخطأ القوم إلاّ أنّه رضخ لقرارهم ، فقرار القبيلة هو الصواب مهما كانت نتائجه ، فالعربي دوما مستعدّ للقتال إذا ما خاضت القبيلة حربا قال الافوه الاودي[٣].

رمـــــل

مســـتطير لَـــيْسَ مـــن جهـــل وَهـــل لأخـــى الْحلـــم علـــى الْحَـــرْب وقـــار

يحلـــــم الْجَاهِـــــل للســـــلم وَلَا يقـــر الْحلـــم اذا مَـــا الْقَـــوْم غـــاروا

ويقول عنترة[٤]:

وافـــــــــر

فـــإن تـــكُ حـــربُكُم أمســـت عوانـــاً فـــإني لـــم أكُـــن ممـــنْ جناهـــا

ولكـــــنْ ولـــــدُ ســـــودة أرثوهـــــا وحشـــوا نارهـــا لمـــن اصْـــطَلاها

فـــــإني غيـــــرُ خـــــاذِلكم ولكـــــنْ سأســـــعَى الآن إذْ بلغـــت إناهـــا

فمهما كانت أسباب الحرب ،فالعربي سيخوضها نصرة للقبيلة ودفاعا عنها بغض النظر عن كونها قرارا صائبا أو خاطئا .

---

(١) ينظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٥٧٧.

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٣٣٧.

(٣) ديوان الأفوه الأودي: ٧٩. والافوه الأودي هو صلاءة بن عمرو، من مذحج، ويكنى أبا ربيعة /الشعر والشعراء ٢١٧/١

(٤) ديوان عنترة: ٢٨٩.

وقد يعلن الشاعر أنّ قومه مستعدون لخيار الحرب ،دفعا لما يتصوره الآخر عنهم، وخيار الحلم في هذه الحالة سيؤكد ما يعتقده الآخر من تجنب القوم للقتال خوفا وجبنا يقول الأعشى[١] :

بسيـــط

كـــــلاّ زعمـــــتمْ بأنـــــا لا نقـــــاتلكمْ إنّـــا لأمْثَـــالِكُمْ يـــا قوْمَنـــا قُتُـــلُ

حتـــى يَظَـــلّ عَمِيـــدُ القَـــوْمِ مُتّكِئـــاً يَـــدْفَعُ بـــالرّاحِ عَنْـــهُ نِســـوَة عُجُـــلُ

أصَـــــــابَهُ هِنْـــــــدُوَانيٌّ فَأقْصَـــــــدَهُ أو ذابـــلٌ مـــنْ رمـــاحِ الخـــطّ معتـــدلُ

يرد الاعشى على زعمهم بعدم اتخاذ موقف الحرب ، ويعرض صورا من ذلك القتال، الذي تكون نتيجته قتل عميد القوم .

يجعل العربي خيار الحرب هو الخيار الواجب ، حتّى لو أدى ذلك إلى نشوبها بين أبناء العمومة ، فتقع نتائج كارثية من مثل قتل الاقارب ؛وذلك لكون الاستعداد للحرب وتحمل النتائج هو الخيار الاقرب لروح العربي التي تعوّدت المعارك، وخيار الحلم يثلم من صورة المحارب الجاهز دوما للقتال قال أبو قيس صيفي بن الاسلت[٢]:

---

(١) ديوان الاعشى :٦١.

(٢) ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت الاوسي الجاهلي ، تحقيق :حسين محمد باجوده، دار التراث – القاهرة د.ت: ٧٩- ٨٠ .

- وأبو قيس صيفي بن الأسلت أحد بني وائل بن زيد ،كان في مكة مع قريش عام الفتح ولم يسلم . ينظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن الشيباني الجزري (٦٣٠هـ) ، تحقيق :علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية – بيروت -١٩٩٤م :٢٥٠/٦.

سريع

العزمُ والقوةُ خير من الـ ... لإدهانِ والفكةِ والهاعِ

ليسَ قطاً مثل قطيّ ولا الـ ... مرعى في الأقوامِ كالراعِ

لا نألم القتلَ ونجزي به الـ ... أعداء كيلَ الصاعِ بالصاعِ

وفي البيت الأوّل تعريض بالمخاطب ، والادهان مثل النفاق والمخادعة، والفكه الضعف والاسترخاء ، والهياع الضجر والجزع [1] وفي البيت الثاني يقول: ((ليس القليل كالكثير، ولا السائس كالمسوس يحض على طلب المعالي))[2] ومراده واضح في البيت الثالث إذ يوضح قدرتهم على تحمل أعباء الحرب ، ورد العدوان ، وفي هذا النص يشير الشاعر إلى أنّ خيار الحزم والحرب ، هو الخيار الأفضل ، فهو مظهر من مظاهر القوة ، أما التجنب والادهان والمراوغة التي قد تصاحب خيار الحلم ، فهي علامة من علامات الضعف، والشاعر هنا إذ يعلن قيمة الاقدام يبين أن نتائج هذه القيمة هي السيادة والسؤدد، فمن يجعل خيار الحرب خياره المفضل والذي يتوقعه منه الآخر يكوّن صورة رادعة لدى الاعداء ، فلا مجال للحلم في بيئة تعيش على الصراع والحروب ، فاعتماد خيار الحلم دوما ينتج نموذجا ضعيفا يقول الأسود بن يعفر[3].

(١) ينظر :شرح اختيارات المفضل ، الخطيب التبريزي ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١-١٩٨٧م: ١٢٣٨/٤.

(٢) شرح اختيارات المفضل : ١٢٣٩ ، و((الأسود بن يعفر يكنى أبا الجراح أخبرنى يونس أن رؤبة يقول يعفر بضم الياء والفاء فقال يونس يقال يونس ويونس ويوسف ويوسف وكان الأسود شاعرا فحلا وكان يكثر التنقل فى العرب يجاورهم فيذم ويحمد)) طبقات فحول الشعراء: ١٤٧/١.

(٣) ديوان الأسود بن يعفر: ٦٨.

طويـــــــــــل

إذا المرء لم يغشَ الكريهة أوشكتْ حبال الهوينى بالفتى أن تقطّعا

فيجب أن يغشى المرء المكاره ، ولا يحصل ذلك بالاستمرار بخيار الحلم وتجنب المكاره دوما ؛ لذلك قال السموأل[١].

طويـــــــــــل

ونحنُ قومٌ لا نرى القتلَ سبةً إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلولُ

فعندما لا ينفع التلويح بالصلح وتجنب الحرب ، لا يجب على العربي أن يستمر ،في عرض ذلك الخيار بل عليه أن يلغي خيار الحلم حتّى لو أدى ذلك إلى قتل الأقارب والاعزاء يقول الحصين بن حمام المري[٢].

طويـــــــــــل

ولمَّا رَأَيتُ الوُدَّ ليسَ بنافعي وأنْ كان يوما ذا كواكب مُظْلِمَا

صَبَرْنا وكان الصَّبْرُ فينا سَجِيَّةً بأَسيافِنا يَقْطَعْنَ كَفاً ومِعْصَمَا

يُفَلِّقْنَ هَاماً مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ علينا وهم كانُوا أَعَقَّ وأَظْلَمَا

ومعنى لما رأيتُ الود أي علمت أن الودّ ليس بنافع ، وعبر عن شدة اليوم بكونه ذا كواكب أي رأيت فيه الكواكب ظهرا من شدة الغبار[٣] ويرد الشاعر أن يقول : ((لما لم ينفع

---

(١) ديوان السموأل: ٧٠.

(٢) ديوان الحصين بن مام المرّي الفارس الشاعر ، تحقيق : شريف علاونة ، دار المناهج – عمان - ٢٠٠٢م. ٨١ ، والحصين ((بن الحمام المرى بن ربيعة بن مساب بن حرام بن وائلة بن سهم بن مرة وهو فارس شاعر شريف)) طبقات فحول الشعراء: ٥٥/١.

(٣) ينظر :شرح اختيارات المفضل: ٣٢٤/١.

اللين أتيت ما كان أصوب وأدعى إلى الحزم، يعني الحرب))[١] ، فمن عادة العرب بذل الودّ وتذكّر الصداقات ،لكن هناك حدّ لذلك يكون ما بعده ضرب الهامات وتقطيع الأكف [٢] فهناك حدّ لخيار الحلم يكون تجاوزه ضعفاً ، فعندما يشعر العربي بأنّ بغيا وقع عليه ، فلن يرى في الحلم خيارا حتّى لو أدى ذلك إلى قتل الأقارب ، ويتجلى ذلك المضمون كثيرا في نصوص الأخذ بالثأر يقول قيس بن زهير[٣]:

وافـــــر

شَـفَيْتُ الـنَّفْسَ مِـنْ حَمَـلِ بـنِ بَـدْرِ وَسَـيْفِي مِـنْ حُذَيْفَـةَ قَـدْ شَـفَانِي

فَـإِنْ أَكُ قَـدْ شَـفَيْتُ بِهِـم غَلِيْلِـي فَلَـمْ أَقْطَـعْ بِهِـم إِلَّا بَنَـانِي

يقول زهير بن قيس: ((إن سكنت لوعتي بمجازاتهم، وبردت غلتي، فإني لم أقطع بهم إلا أطراف أصابعي، وذلك أن عزي كان بهم، وكانوا كالكف، فلما ماتوا وأعوزني التبجح بمكانهم، والاستعلاء على العدو بهم، صرت كمن قطعت أنامله))[٤]، فعلى الرغم من علمه بعد صواب خيار اللاحلم إلاّ أنّه ارتكبه تحقيقا للثار، فعدم احراز الثار يعد ضعفا ، كما أشرنا في بداية البحث.

وقد يكون الحلم والتوقي مطعنا في الفروسية لذلك نجدهم يردون على من يقترح عليهم خيار الحلم قال سلامة بن جندل[٥].

---

(١) شرح حماسة أبي تمام للفارسي: ٢٢٩/٢.

(٢) ينظر : قصة الادب في الحجاز: ٤٥٦.

(٣) ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ) تحقيق :أحمد حسن بسحج ،دار الكتب العلمية –بيروت -١٩٩٨م: ٣٦ ؛ و ((قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس بن بغيض. كان شريفاً حازماً ذا رأي وكانت عبس تصدر في حروبها عن رأيه وهو صاحب داحس وهي فرسه)) معجم الشعراء: ٣٢٢.

(٤) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ١٤٩.

(٥) ديوان سلامة بن جندل ، صنعة محمد بن الحسن الأحول ، تحقيق :فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢-١٩٨٧م .١٩٨ ، وسلامة بن جندل ((هو من بنى عامر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم، جاهليّ قديم، وهو من فرسان تميم المعدودين)) الشعر والشعراء: ٢٦٤/١.

طـــــويل

تقـــولُ ابنتـــي إنَّ انطلاقـــكَ واحـــدا إلـــى الـــرَّوعِ يومـــاً تـــاركي لا أباليـــا

دَعِينـــا مِـــنَ الإشـــفاقِ أو قَـــدِّمي لَنـــا مـــــنَ الحـــــدثانِ والمنيَّـــــة راقيـــــا

ســـتتلفُ نفســـي، أو ســـأجمعُ هجمـــة تـــــرى ســـــاقيها يألمـــــانِ التَّراقيـــــا

فالشاعر يحاور ابنته ويردّ على ما تطرحه من أن خيار الخروج إلى الحرب خيار طائش ،إذ سيؤدي في النهاية إلى قتله وبقاء ابنته يتيمة ، لكن الشاعر يردّ عليها بأنّ تعرض عن خطاب الاشفاق وتلتفت إلى حقيقة أنّ الموت سينال الجميع ، وبالنتيجة سيكون التقاعس عن الحرب بدعوى الحلم هو ضعف وجهل بطبيعة الحياة .

ويقول المتلمس[1]:

طويـــــــــــل

ألـــم تَـــرَ أَن المـــرْءَ رَهْـــنُ مَنيـــةٍ صَـــرِيعاً لعـــافي الطّيـــرِ أَو سَـــوْفَ يـــرْمَسُ

فَـــلَا تقـــبلَنْ ضَـــيماً حِـــذارَ منيـــةٍ ومُـــوتَنْ بهَـــا خُـــرَّاً وجلـــدُك أملـــسُ

فَمـــن حـــذر الأوتـــار مَـــا حـــزَّ أنفـــهُ قصيرٌ (*) وخاض الموْت بِالسَّيْفِ بيهسُ(**)

وَمَـــا النَّـــاس إِلَّا مَـــا رأوْا وتحـــدثوا وَمَـــا الْعَجـــز إِلَّا أَن يُضـــاموا فيجلســـوا

---

(١) ديوان المتلمس: ١١٠-١١٥.

(*) قصيرٌ: صاحب جذيمة الأبرش. وقصة جذيمة وزباء الرومية مشهورة. وإن قصيراً توصل بأن جدع أنف نفسه، إلى أن استخدمته زباء ثم استخلصته حتى تمكن فأدرك ثأره منها شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤٦٦.

(**) ((وبيهسٌ هو الذي يلقب نعامة، وهو رجلٌ من بني غراب بن فزارة، وكان يحمق، فقتل له سبعة إخوة فجعل يلبس القميص مكان السراويل، والسراويل مكان القميص، فإذا سئل عن ذلك قال:

البس لكل عيشةٍ لبوسها ... إما نعيمها وإما بوسها

- فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته)) شرح ديوان الحماسة: ٤٦٦-٤٦٧.

فَـــاتَ تُقْبِلـــوا بـــالود نُقْبِـــلْ بِمثلِـــهِ وإلاّ فَإنَّـــا نَحـــن آبـــى وأشـــمسُ

في سياق مخاطبة الخصم يقدم المتلمس بعض الحقائق المتعلقة بطبيعة الحياة وحتمية الموت ، فالانسان مرتهن بأجله ،فهو ميت لا محالة إمّا حتف أنفه أو قتلاً في معركة ؛لذلك على الانسان أن يدفع الضيم عن نفسه ، ولا يخضع للذل خوفاً من المنية[١] ،فإن ذلك لا يعد حلما بل يعد ضعفا وجهلا بطبيعة الحياة ، وبعد تقرير عقيدة الشاعر يبين لهم أنّ كلا الخيارين مطروحان ، وتوضيح الشاعر لما يعتقده قومه في طبيعة الحياة يوصل صورة إلى الخصم أنّهم إن قبلوا بخيار الحلم فلن يكون قبولهم ضعفا أو خوفا من الموت ، بل قبول صادر عن قوة.

ومن المضامين الأخرى التي تندرج تحت إمكانية كون خيار الحلم ضعفا هوالحلم عن القبيلة والاهل قد يعده الشاعر ضعفا فيتجه للتفرد والصعلكة يقول الشنفرى[٢].

طـــــــــويل

أقيمـــوا بنـــي أمـــي صـــدور مطـــيكم فـــإني إلـــى قـــوم ســـواكم لأميـــلُ

فقـد حمـت الحاجـات والليـل مقمـر وشـــدت لطيـــات مطايـــا وأرحـــلُ

وفـي الأرض منـأى للكـريم عـن الأذى وفيهـا لمـن خـاف القلـى متغـزلُ

لعمـرك مـا بـالأرض ضـيق علـى امـرئ سـرى راغبـا أو راهبـا وهـو يعقـلُ

(١) ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤٤٦.

(٢) ديوان الشنفرى: ٥٨-٥٩.

ولي دونكم أهلون: سيد عملس وأرقط *زهلول *وعرفاء *جيألُ *

هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

يعبر الشاعر هنا عن عدم احتماله لقومه ، وعدم إمكانيته الصبر على تصرفاتهم ، ((مخاطبًا إياهم بأن يقيموا صدور مطيهم لا ليرحلوا هم وإنما ليستعدوا لرحيله، فقد كره مقامه بينهم ورغب في مكان سوى هذا المكان، وبرحيله أصبحوا لا مكان لهم فمن الخير أن يرحلوا كذلك))[1] ،فالبقاء معهم واحتمالهم – في نظر الشاعر – هو ضعف وعجز مع وجود الأرض الواسعة وإمكانية الرحيل ، والعيش بحرية ، فالقوة لا تكون بالتقيد بالقبيلة ومداراتهم والحلم والصبر عمّا يصدر منهم بل بمفارقتهم وتعويض ذلك بما يوجد في البرية من رفقة .

(*) الارقط : النمر .ينظر :تاج العروس (ر ق ط): ٣٠٨.

(*) زهلول :أملس . ينظر :مقاييس اللغة (ز هـ ل): ٣٣.

(*)العرفاء :الضبع .ينظر :تاج العروس (ع ر ف): ١٤٦.

(*) جيأل كذلك اسم للضبع .ينظر :تاج العروس(جأل): ١٧٣.

(١) دراسة في نصوص العصر الجاهلي تحليل وتذوق ،السيد أحمد عمارة ، مكتبة المتنبي:١٢.

المبحث الثالث

تنوع أبعاد الحلم بتنوع الغرض

عرضنا في المبحثين السابقين لمضامين وأبعاد الحلم عندما يكون اقتدارا ، أو ضعفا ، وأوردنا نماذج من الشعر الجاهلي تكشف عن تلك المضامين.

سنحاول هنا تقديم قراءة لورود الحلم في الشعر الجاهلي في سياق تنوع الغرض ، والمقام ،فسياق الغرض واختلاف المقام قد يمنح الحلم أبعادا ومدلولات أخرى غير التي قدمناها في المبحثين السابقين، وما قدمناه في المبحثين السابقين لا يخلو من ورود الحلم ضمن غرض ومقام، لكنّا ركزّنا هناك على مضمون القوة والاقتدار، ومضمون الضعف ، وهما المحوران الأساسيان في مضمون الحلم، أمّا هنا، فسنحاول الكشف عن بعض الأبعاد الأخرى التي يمنحها تبدل الغرض والمقام.

في سياق المدح لا يأخذ الحلم بعدا واحدا بل يتغير بتغير معاني المدح التي يرد ضمنها ففي قول عنترة[1] .

كامـــل

وهـــمُ الحمـــاةُ إذا النســـاءُ تحســـرّت يـــوم الحفـــاظ وكـــان يـــوم نـــزالِ

يقصـــون ذا الأنـــفِ الحمـــيّ وفـــيهمُ حِلـــمٌ ولـــيس حـــرامهم بحـــلالِ

يمدح عنترة قومه ويصفهم بالقوة والعزة والمنعة، لكنّها ليست قوة تعتمد الطيش والجهل، بل قوة مقرونة بالحلم، وإخراج الحلم بهذا البعد الدلالي بعد الاتزان في موطن الحرب، وهذا

(١) ديوان عنترة: ٣٣٨.

بعد أنتجه سياق المدح الذي ركّز على صفات الفروسية والبطولة والشجاعة ، فالحلم هنا يشير إلى أبعاد ضبط النفس في جو الحرب ، وعدم الانجرار في فوضى الحرب وما تسببه من عدم انضباط.

يقول لبيد بن ربيعة العامري في مدح بني الديان[١]:

رمـــــــل

وبنـــــــو الـــــــدّيانِ لا يـــــــأتون لا وعلـــــى ألســـــنهم خفـــــتْ نعـــــمْ

زَيَّنَـــــــت أَحلامُهُـــــــم أَحســـــــابُهُم وَكَـــــذاكَ الحِلـــــمُ زَيـــــنٌ لِلكَـــــرَم

قرن لبيد الحلم بالكرم – في سياق مدحه – جاعلا الحلم زينة للحسب وللكرم ؛ ليشير الحلم إلى أبعاد قيمية تضيف للحلم دلالات أخرى ، فكون الحلم زينة للحسب يشير إلى عراقة السيادة ، والخبرة بسياسة القوم ، ويشير اقتران الحلم بالكرم إلى كون ذلك الحلم نابعاً من أصالة طبع الكرم الذي لم يقتصر على الأمور المادية من إكرام للضيف وغيرها بل شمل الأمور المعنوية ، فالكريم عندما يحلم يعطي من حقه ، فتغيرت أبعاد الحلم تبعا لتغير معاني المدح.

في مقام الفخر كانت للحلم أبعاد متغيرة تبعا لتغير المعاني يقول لبيد بن أبي ربيعة العامري في وصف قومه[٢].

كامـــــــل

وَلَهُـــــم حُلـــــومٌ كَالجِبـــــالِ وَســـــادَةٌ نُجُـــــبٌ وَفَـــــرعٌ ماجِـــــدٌ وَأَرومُ

(١) ديوان لبيد: ١٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٩٣.

في سياق الفخر بذكر السيادة وكونها صفة راسخة يصف لبيد حلم قومه بأنه راسخ كالجبال؛ ليشير إلى رزانة هذه الصفة ،فهي لايمكن أن تهتز بفعل الحوادث والمؤثرات ، وهذه الرزانة في الحلم في سياق الفخر بالسيادة توحي بدلالة القوة في مواجهة الأزمات والمشاكل والحروب.

قال لبيد بن ربيعة يصف قومه[١]:

كامـــــــــل

لا يَطبَعـــــونَ وَلا يَبـــــورُ فَعـــــالُهُم إِذ لا يَميـــلُ مَـــعَ الهَـــوى أَحلامُهـــا

يقول لبيد:((لا تتدنس أعراضهم بعارٍ ولا تفسد أفعالهم إذ لا تميل عقولهم مع أهوائهم))[٢]، فهو يصف قومه بنقاء القيم الخلقية مع وجود العقل المانع من الهوى والطيش، فالحلم هنا بمعنى العقل الذي يعمل بصفة مراقب فيمنع من الانزلاق مع الهوى، فصفة الحلم في سياق الفخر هنا اشتملت على دلالات الحكمة والرصانة ، وهي دلالات ملازمة لسيد القوم، فلا يكفي الحلم بمعنى الصبر وضبط النفس ،بل لابدّ من الحلم المشتمل على أبعاد العقل والحكمة .

وقال الاعشى يتشوق إلى قومه ويفتخر بهم[٣].

خفيـــــف

وَأَبِيّـــونَ مـــا يُســـامونَ ضَـــيماً وَمَكيثـــــونَ وَالحُلـــــومُ وِثـــــاقُ

(١) ديوان لبيد: ٢٣٩.

(٢) شرح المعلقات للزوزني: ٢٠٠.

(٣) ديوان الأعشى: ٢١٥.

يفخر الشاعر بقومه عارضا بعضا من صفات الشجاعة ومزاولة الحرب ،فهم أبيون لا يقبلون بالضيم، أو أنّ يعتدى عليهم ، ومع ذلك هم غير طائشين فهم مكيثون، والمكيث هو الرزين الذي لا يعجل في أمره[١] ويصف حلومهم بأنّها وثيقة ، واقترانها بعدم التعجل هنا يشير إلى دلالة التعقّل والحكمة، فهم مع قوتهم وبطشهم يتمتعون بالتعقل والحكمة، فتصرفهم في الحروب لا يحكمه الطيش وردّة الفعل الآنية المتسرعة ، بل هو مؤطر بإطار العقل والحكمة.

كذلك نجد وصف حلم القوم بالرزانة عند سويد بن ابي كاهل اليشكري في قوله مفتخرا بقومه[٢]:

وافـــــــر

وُزُنُ الأَحـــــلامِ إن هُـــــم وازَنُـــــوا صـــادِقوا البَـــأسِ إذا البَـــأسُ نَصَـــعْ

فأحلامهم موزونة تقيس الأمور بمآلاتها، ولا تتهور، وذلك لا ينبع من خوف ، فهم صادقو البأس، بل نابع عن حكمة وعقل ومعرفة في عواقب الأمور.

ويقول مالك بن حريم الهمداني[٣]:

طـــــــــويل

ومنَّـــا رئـــيسٌ يُسْتضـــاءُ بنـــورِهِ ســـناءً وحِلْمـــاً فيـــهِ فاجتَمَعـــا معَـــا

(١) ينظر : تهذيب اللغة: ١٠ /١٠٧.

(٢) المفضليات: ١٩٥.

(٣) الاصمعيات: ٣٥ ، مالك بن حريم الهمداني شاعر فحل جاهلي. وهو جد مسروق بن الأجدع / ينظر: معجم الشعراء :٣٧٥.

يفخر الشاعر بسيد قومه ويقرن الحلم مع النور الذي يضيء به سيد القوم لقومه ، فهو هاديهم ومرشدهم، وبذلك تكون دلالة الحلم هنا هي دلالة الحكمة والإرشاد للقوم ،فهو مرجعهم وموجههم في النائبات وما يستجد من مشاكل.

نلحظ من النماذج السابقة التي وجدناها للحلم في سياق الفخر تعالق الحلم مع دلالات الحكمة والعقل، وجاء الفخر بالحلم دوما في سياق ذكر أحقية من فخروا بهم على مكانتهم في قومهم ودورهم المهم في حفظ القبيلة والسير بها إلى برّ الأمان وتجاوز كل العقبات والمصاعب.

الحلم مقام الرثاء نجده تكرر في مواطن عدة منها قول الخنساء في رثاء أخيها صخر[1]:

كامـــــــــــــل

بِتَغمُّـــــــــدٍ مِنـــــــــهُ وَحِلـــــــــمٍ حـــــينَ يَبغـــــي الحِلـــــمَ راجِـــــح

تصفه أنّه مسيطر على حلمه حين يبغيه يأتيه طوعا ، و تصف حلمه بالرجوح ،فهو يفوق أقرانه بهذه الصفة، وبذلك تأخذ صفة الحلم هنا صفة التفرد والندرة لدى المرثي ؛ لذلك كان فقدانه فقدان شخص نادر الوجود لا يتكرر .

وتقول الخنساء في رثاء صخر أيضاً[2].

وافـــــــــر

لِيَبـــــكِ الخَيـــــرَ صَـــــخراً مِـــــن مَعَـــــدٍّ ذَوُو أَحلامِهـــــــــا وَذَوُو نُهاهـــــــــا

(١) ديوان الخنساء : ٣٤٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٨٤.

فبينت أنّ من يبكي صخرا هم ذوو الأحلام والعقول ، وهم حكماء القوم ، ومن يبكيه ذوو الأحلام والعقول ، فلابدّ أن تكون له صفات خلقية جعلته فاعلا في بناء المجتمع على مستوى التأثير الإيجابي في التوجيه والإرشاد ، ولمدى فاعليته ومكانته تلك بكاه وندبه أهل الأحلام والعقول .

وقال الهدم بن امريء القيس[١] يرثي عمرو بن حممه الدوسي[٢]بقوله[٣]:

طويل

لَقَـــدْ ضَـــمَّتْ الأثْـــرَاءُ مِنْـــكَ مـــرزأً[*] عَظِـــيْمُ رمَـــادِ النَّـــارِ مُشْـــتَرِكَ القَـــدْرِ

حَليمًـــا إِذَا مَـــا الحِلـــمُ كَـــانَ حَزَامَـــةً وَقُـــورًا إِذَا كَـــانَ الوُقُـــوفُ عَلَـــى الجَمـــرِ

إِذَا قُلْـــتَ لَـــمْ تتـــرُكْ مَقَـــالًا لِقَائِـــلٍ وَإِنْ ضُـــئْتَ كُنْـــتَ اللَّيْـــثَ يَحْمِـــي حِمَـــى الأَجْـــرِ

لِيَبْكِـــكَ مَـــن كَانَـــتْ حَيَاتُـــكَ عِـــزُّهُ فَأَصْـــبَحَ لَمَّـــا بِنْـــتَ يُفْضِـــي إِلَـــى الصُّـــغْرِ

المرثي وهو عمرو بن حممه الدوسي كان أحد من تتحاكم إليه العرب[٤] لذلك نجد صفة الحلم هنا تتمحور حول الحكمة في استعمال تلك الصفة ، فهو يختار الموقف المناسب للحلم ، فيستعمله إذا كان حزامة، والحزامة هي((ضبط الرجل أمره وأخذه بالثقة))[٥]، فلا

(١) الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد بن زيد من أهل المدينة وهو أبو كلثوم بن الهدم الذي نزل عليه النبي(ﷺ)/ معجم الشعراء: ٤٩٠.

(٢)عمرو بن حممة بن رافع بن الحارث الدوسي من الأزد أحد حكام العرب في الجاهلية وأحد المعمرين يقال إنه عاش ثلاثمائة وتسعين سنة ويقال إنه هو ذو الحلم الذي ضرب به العرب المثل / معجم الشعراء: ٢٠٩.

(٣) معجم الشعراء:٤٩٠.

(*) المَرزأ ((أي: يُصِيبُ النّاسُ من مالِهِ ونَفْعه)) العين (ر زو):٣٨٣.

(٤) ينظر آمالي القالي: ١٤٣/٢.

(٥)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (حزم): ١٨٩٨.

يستعمل الحلم إلا متمكنا منه ضابطاً أمره ، فصفة الضبط والسيطرة على النفس موجودة فيه، فهو الوقور حتّى لو كان الوقار وقوفا على الجمر، وهو الحكيم المتمكن من كلامه ،فإذا تكلم أسكت الجميع، وهذا الحلم منه كان عزة لقومه؛ لذلك سيبكيه من شعروا بالذل لفقدانه، وصفة الحلم بهذا المقدار والتوصيف والتأثير صفة عزيزة.

قال لبيد بن ربيعة(١):

مجزوء الكامل

قُـــــومي إذَا نَـــــامَ الخَلِـــــيُّ فـــــأبْنِي عَـــــوْفَ الفَواضِـــــلْ

عَـــــوْفَ الفَـــــوَارِسِ وَالمَجَـــــا لِـــــسِ والصَّـــــوَاهِلِ والـــــذَّوابلْ

يـــــا عَـــــوْفُ أحْلَـــــمَ كـــــلِّ ذي حلـــــمٍ وأقـــــولَ كـــــلِّ قائِـــــلْ

يـــــا عَـــــوْفُ كنـــــتَ إمَامَنَـــــا وبَقِيـــــة النَّفَـــــرِ الأوائِـــــلْ

يدعو الشاعر قومه لبكاء عوف ، فخسارته هي خسارة الجميع ؛ وذلك لما يتمتع به من قيم خلقية مرغوبة في المجتمع، فهو الفارس والكريم ، وهو أفضلهم حلما وقولا ، فهو إمامهم في تلك القيم وإمام ساداتهم، فهو الكامل في صفة الحلم ،ففقدانه يعني فقدان تلك القيمة بأعلى تجلياتها، ونلحظ أن الشاعر هنا قرن أفضلية الحلم بأفضلية القول والمنطق مما يعطي الحلم هنا صفة الحكمة .

من خلال عرض ورود الحلم في سياق الرثاء نلحظ أنّ دلالاته تتركز على أبعاد الحكمة ورجاحة المنطق، وكون هذه الصفة مختصة بالمرثي يفوق بها أقرانه وأهل زمانه ، وفقدانه سيكون فقدان تلك الصفة في تجليها الكامل.

(١) ديوان لبيد بن ربيعة : ١٣٤-١٣٥.

ونجد الحلم ورد في سياق الغزل يقول امرؤ القيس[١].

كامل

نظَرَتْ إلَيْكَ بَعَيْنِ جازِئَة (*) حَوْرَاءَ، حانِيَة على طِفْلِ

فَلَها مُقلَّدُها ومُقْلَتُها وَلَها عَلَيْهِ سَرَواَة الفَضْلِ

أقْبَلْتُ مُقْتَصِداً وَرَاجَعَني حِلْمي وَسُدِّدَ لِلتُّقَى فِعْلي

يريد امرؤ القيس أن يقول: ((تركتُ ما كنت أذهب إليه من المطالبة والغزل ، وأقبلت راجعاً إلى القصد والرشاد))[٢] فالحلم هنا يتضمن دلالة الرشد والعودة عمّاكان من الغي وتحكيم العقل على العاطفة من أجل اتمام مهام مصيرية في حياة الشاعر.

وورود الحلم في سياق الغزل في قول امريء القيس[٣]:

طويل

نَواعِمُ يُتبِعنَ الهَوى سُبُلَ الرَدى يَقُلنَ لِأَهلِ الحِلمِ ضُلَّا بِتِضلالِ

صرَفتُ الهَوى عنهنّ من خَشيةِ الرَّدى وَلَستُ بمَقْليّ الخِلالِ وَلا قَالِ

يصف امرؤ القيس أنموذجا من النسوة في سياق عرض مغامراته الغزلية، ويبين أن هذاالصنف من النساء((يُصيرنَ المنى تبعا للهوى، فإذا هويهن الشخص اعتراه بمنى وصلهن

(١) ديوان امريء القيس رواية الاعلم : ٢٣٨.

(*) الجازئة الظبية ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (جزأ): ٤٠.

(٢) ديوان امري القيس رواية الاعلم: ٢٣٨.

(٣) المصدر نفسه : ٣٥.

ضلال بكل سبيل))[1]، ثم يقول صرفت الهوى عنهن خشية الردى أي خشية الفضيحة[2] فالحلم هنا جاء بمعنى العودة إلى الرشد وترك السير في طريق العبث الذي لا طائل منه .

ورد ذكر الحلم في سياق الغزل في قول المزرد الغطفاني[3]:

طويل

ليالِيَ إذ تصبي الحليم يدلّها ومشي خزيل الرجع فيه تفاتُل

يصف هذه المرأة بأن لها جاذبية بما تظهره من دلال ومشي(خزيل) أي تهتز في مشيها وتتثني، وهذه الجاذبية تصبي- أي تدعو للصبا- الحليم وهو هنا بمعنى المتنسك[4] فهذه المرأة بما لها من إغراء وجاذبية تجعل المتنسك المنقطع عن الملذات يصبو ويخف، فدلالة الحلم هنا جاءت بمعنى التنسك والانقطاع عن الملذات.

ورد الحلم في سياق الغزل أيضا في قول أبي ذؤيب[5]:

طويل

وما أمُّ خشفٍ(*) بالعلايةِ ترتعي وترمقُ أحياناً مخاتلةَ الحبلِ

(١) موائد الحيس في فوائد القيس ،سليمان بن عبد القوي الصرصري (٧١٦هـ) تحقيق : مصطفى عليان، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية – الكويت ١٤٣٥هـ :٣٥٠.

(٢) ينظر: موائد الحيس في فوائد القيس ،المصدر السابق: ٣٥٠ .

(٣) المفضليات: ٩٤.

(٤) ينظر: شرح اختيارات المفضل: ١/ ٤٤٨.

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٩/١.

(*) الخشف وهو ولد الظبي /جمهرة اللغة (خ شف): ٦٠١.

بأحسنَ منها يومَ قالتْ تذلُّلاً أتصرمُ حبلي، أمْ تدومُ على وصلي

فإنْ تزعميني كنتُ أجهلُ فيكمُ فإنّي شريتُ الحلمَ بعدكِ بالجهلِ

يبدأ أبو ذؤيب بتشبيه حالة المرأة في لحظة سؤاله عن حبه لها بأم الخشف ، فقد أصابها الشك من حبّه لها بتغير حالته من حالة اللهو والصبا إلى حالة الحلم والوقار فيخاطبها بأن((ليس استدلالك بصحيح وما حدث لي استغناء عنك ولا استبدلت بحبك قلاك ولكني تحملت فجميع ما ترينه وتنكرينه من العادات المستجدة نتائج الحلم والعقل فأما الحب فكما كان والأيام تزيده استحكاما))[1] فالحلم هنا يأخذ معنى التعقل والنضوج والتعامل مع المعشوق بجدية أكبر.

وقال المخبل السعدي[2]:

كامل

ذكر الرباب وذِكْرُها سُقْمُ فَصَبَا ولَيْسَ لمَنْ صَبا حِلْمُ

يذكر الشاعر هنا أحواله مع محبوبته، فيشير إلى أنّ ذكرها يزيده خبالا ، ومعنى صبا هنا أي فعل ما يفعله الصبيان[3] فالحب يجعله يفقد رزانته ورجاحة عقله ، ومن يفعل ذلك، فلا حلم له، وبذلك تكون دلالة الحلم هنا هي العقل والاتزان بالتصرفات التي يحكمها العقل لا العاطفة.

نلحظ من النماذج التي قدمناها لورود الحلم في سياق الغزل أنه يأخذ دلالة النضوج العقل وعدم الطيش الصبياني، فصاحب الحلم في سياق الغزل هو من يحكم عقله لا

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: ٢٥٠/١١.

(٢) المفضليات:١١٣.

(٣) ينظر :شرح اختيارات المفضل :٥٣٤/١.

عاطفته، فالحلم في سياق الغزل يدل على العقل في حالة كونه من يحكم الانسان طيش التصرفات في ظل العاطفة المسيطرة.

وورد الحلم في سياق الهجاء، يقول الأعشى[١]:

متقـــــارب

كَـــمْ دونَ بَيْتـــك مـــن مَعْشَـــرٍ صُـــباةِ الْحُلـــوم عُـــداةٍ غُشُـــمْ

إذا أنـــا حييـــتُ لـــم يرجعـــوا تَحيـــتَهم وهُـــم غيـــرُ صـــمّ

وجاء الحلم في سياق الحكمة وتوجيه النصيحة عند عبده بن الطيب في قصيدة قالها بعد أن أحس من نفسه الكبر، فأحبّ أن يشرك ولده فيما خبره من خبرة في هذه الحياة[٢].

كامـــل

لا تـــأْمَنُوا قَوْمـــاً يَشِـــبُّ صَـــبِيُّهُمْ بَـــيْنَ القَوَابِـــل بالعَـــدَاوَةِ ينشـــع

فضـــلتْ عَـــدَاوَتُهُمْ عَلَـــى أَحْلاَمِهِـــمْ وأَبَـــتْ ضِـــبَابُ صُـــدُورِهم لا تُنْـــزَعُ

يبين الشاعر في سياق نصحه وتوجيهه لولده باجتناب نموذج معين من الناس، وهو ذلك النموذج غير المنضبط الذي يتربى صغيرهم ويشب على العداوة وعدم الانضباط، وتتعالى عداوتهم على حلمهم، مما ينشيء مجتمع غير منضبط، فالحلم ((مابقي في النفس غالباً يحمل صاحبه على الأناة، والتؤدة، ويمنعه من العجلة، وإن اشتدت العداوة عجز الحلم عن دفعها ومقاومتها وصارت الغلبة لها))[٣] فالحلم هنا يأخذ دلالة العقل الضابط في المجتمع.

---

(١) ديوان الأعشى: ٣٧.

(٢) المفضليات: ١٤٧ ؛ وينظر : شرح اختيارات المفضل: ٦٨٨/٢.

(٣) شرح اختيارات المفضل: ٦٩٤/٢.

ويقول عامر بن الطفيل[١].

وافر

وإنّي سوفَ أحكمُ غير عادٍ ... ولا قذعٍ إذا التُمسَ الجوابُ

حكومةَ حازمٍ لا عيبَ فيها ... إذا ما القومُ كظهمُ الخطابُ

فَإنَّ مَطيَّةَ الحِلمِ التَأنّي ... عَلى مَهَلٍ وَلِلجَهلِ الشَبابُ

فيهيء للقول بأنّ مايريد قوله هو حكم حازم من قائل صريح غير متردد مؤطر بالحلم ،ثم يقرن الحلم بالتأنّي، ونقيضه الجهل بالشباب ، فالتأنّي من صفات كبير العمر الذي خبر الحياة ، وعرف أبعاد كلّ تصرف ، فالجهل وهو التصرف بدون معرفة بعواقب الأمور ،فهو ضد الحكمة[٢] فيكون مراده بالحلم هنا الحكمة التي تتضمن الخبرة بعواقب ومآل كل تصرف

ويقول عبد المسيح بن عسلة[٣]:

كامل

والخمرُ لَيْسَتْ مِنْ أخيك ول ... كن قد تَخُونُ بآمِنِ الحِلْمِ

وتُبَيِّنُ الرَّأيَ السَّفِيهِ إذَا ... جَعَلَتْ رِياحُ شَمُولها تَنْمِي

يوجه الشاعر مخاطبه بترك صحبة الخمر، فهي((ليست تحابي من شربها والآمن الشديد القوي))[٤] فتغيب العقل وتظهر السفاهة، فالحلم هنا بمعنى العقل الواعي المُدرك.

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٢٠.

(٢) ينظر :المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام: ١٥ /٣٣٨ .

(٣) المفضليات: ٢٧٩.

(٤) شرح اختيارات المفضل: ١٢٢٠/٣ ؛ شاعر جاهلي اخو الشاعر حرملة بن عسلة / معجم الشعراء : ٣٨٥.

قال علقمة ابن عبدة[١].

بسيط

والجهلُ ذو عرض لا يستراد له ... والحلمُ آونة في الناس معدومُ

يشير علقمة مقررا بعض الحقائق التي يقدمها في سياق تقديم الحكم والنصائح أن الجهل غير مراد على الرغم من عروضه للناس في تصرفاتهم، والحلم على الرغم من طلبه يُعدم أحيانا[٢] وهنا يذكر الحلم في علاقة تضادية مع الجهل، فتكون دلالة الحلم هنا هي رجاحة العقل وعدم السفاهة.

وقالت جمعة بنت الخنس في كلمة لها تعدد فيها بعض القيم الخلقية ومالها من فضائل[٣]

طويل

إذا المرءُ لم يسطع سياسة نفسهِ ... فإنّ بهِ عن غيرها هو أعجزُ

وكم من وقورٍ يقمعُ الجهلَ حلمُه ... وآخرُ من طيش إلى الجهلِ يجمزُ(*)

ففي هذين البيتين تتحدث عن سياسة النفس كونها شرطاً أساسياً لسياسة القوم ، وتشير إلى أنّ سبب الوقار عند الكثيرين هو كون الحلم قامعا لجهلهم، وأن كثيرا منهم يسرع إلى الجهل طيشا منه، وهي بهذا تبين فضيلة الحلم في سياسة القوم ، والحلم هنا يشير إلى دلالة ضبط النفس وعدم الاستعجال .

---

(١) ديوان علقمة ابن عبدة بسرح الاعلم: ٤٤.

(٢) ينظر شرح اختيارات المضل: ١٦١٨/٣.

(٣) بلاغات النساء ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ ، تحقيق : أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول- القاهرة - ١٩٠٨ م: ٦٢ ؛ وهي أخت هند بنت الخسّ بن حابس بن قريط الإياديّة ، ينظر :سمط الآلي في شرح أمالي القالي: ٤٧٥/١.

(*) الجمز سرعة في السير ،ينظر : جمهرة اللغة (جمز): ٤٧٢.

ويبين الربيع ابن أبي الحُقيق عواقب الاعراض عن رأي الحليم بقوله[١] .

متقارب

سئمتُ وأمسيتُ رهنَ الفرا ... شِ من جرمِ قومي ومن مغرمِ

ومن سفهِ الرّأي بعد النّهى ... وغيبِ الرشاد ولم يفهمِ

فلو أنّ قومي أطاعوا الحلـ ... ـيمَ لم يتعدّوا ولم نُظلم

ولكنّ قومي أطاعوا الغوا ... ة حتّى تعكّص أهل الدمِ

فأودى السّفيه برأي الحلـ ... ـيمِ وانتشر الأمرُ لم يبرمِ

يصف ابن أبي الحقيق ماجرى لقومه ، وما أصابهم من تفكك وفوضى وخذلان ،وذلك بسبب إعراضهم عن رأي الحليم واتباعهم رأي الجاهل مما أدى إلى انتشار الفوضى وعدم امكانية تلافي آثارها، فرأي الحليم هو رأي يعتمد بعد النظر ويقيس الأفعال بإثاراها وما يترتب عليها، ورأي الجاهل هو رأي طائش متسرع غير موزون يتخذ القرارات من دون النظر إلى آثارها ؛ لذلك يؤدي اتباع رأيه إلى الفوضى والخذلان ، فالحليم هنا هو صاحب القرار الموزون الذي يعتمد العقل.

ويقول الأعشى في سياق ذكر بعض الحكم والحقائق[٢]:

متقارب

وطاوعتُ ذا الحِلمِ فاقتادني ... وقد كنتُ أمنعُ منه الرّسن[*]

---

(١) الاغاني: ٣٥٨/٢٢. ، و الربيع بن أبى الحقيق يهودي من بنى النضير /طبقات فحول الشعراء ٢٨١/١

(٢) ديوان الأعشى ١٥-١٦

(*) الرسن: الحبل، ينظر: جمهرة اللغة (رسن):٧٢٢.

وعاصـــــيتُ قلبـــــيّ بعـــــدَ الصـــــبا وأمســـــى ومـــــا إنْ لـــــه مـــــن شَـــــجَن

يذكر الأعشى هنا تحوّل حاله من حال الطيش وعدم الانضباط إلى حال النضوج والتعقّل ، فأصبح يتبع صاحب الحلم بعد أنّ كان نفورا متمردا عليه ، وتحول من حالة الصبا إلى عصيانه وترك أخلاقه ، وهذه الصفات هي صفات التعقل والنضوج، فالحليم الذي أطاعه الشاعر هنا كما يشير السياق هو العاقل الناضج .

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : مضامين الحلم من خلال خصائص اللغة الشعرية

المبحث الثاني : فاعلية الصورة الشعرية في عرض مضامين الحلم

المبحث الثالث : الإيقاع فاعلا في إيصال مضامين الحلم

المبحث الأول

مضامين الحلم من خلال خصائص اللغة الشعرية

تمثل دراسة لغة الشعر من أهم المداخل لكشف خصائصه فالشعر ((فاعلية لغوية في المقام الأول، فهو فنّ أداته الكلمة ؛ لذا فجوهر الشعرية وسرّها في اللغة ابتداء من الصوت ومروراً بالمفردة وانتهاء بالتركيب))[١] ، فالشعرية تتمثل بالتشكيل اللغوي الخاصّ الذي يمثل التجربة الشعرية [٢] ولغة الشعر تختلف عن اللغة العادية فالعناصر ((التي تبدو شكلية على مستوى اللغة يمكن أن تحظى في الشعر بطبيعة دلالية وأن تحصل من خلاله على معاني إضافية))[٣] فالبناء اللغوي للشعر بناء مميز دالّ ، فهو ((يبنى بنية معقدة وكل عناصره المكونة له عناصر دالة ، بمعنى أنها عبارة إشارات لمضمون معين))[٤] كما أنّ لكل عصر شعري لغته المتميزة بخصائصها الأسلوبية ولكل شاعر لغته الخاصة ، ويمكن الكشف عن ملامح تلك الأساليب والخصوصيات بدراسة شعر العصر في عمومه أو شعر الشاعر ضمن ذلك العصر، ولكون دراستنا هي عن مضمون خاص محدد هو مضمون الحلم سننطلق من خصائص لغة الشعر الجاهلي العامة لنبحث تحققها في ما ورد من نصوص تكلمت عن الحلم ، ونحاول أن نعرض بعض كيفيات لغة الشعر الجاهلي وخصائصها في عرضها لمضمون الحلم .

---

(١) في التشكيل اللغوي للشعر ، محمد عبدو فلفل ،الهيئة السورية العامة للكتاب – دمشق -٢٠١٣م: ١٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩ .

(٣) تحليل النص الشعري بنية القصيدة ، يوري لوتمان ، ترجمة : محمد فتوح أحمد – دار المعارف – القاهرة ١٩٩٥م : ٥٧.

(٤) المصدر نفسه: ٥٩.

وللغة الشعر الجاهلي خصائص معينة ،ذكرها النقاد القدامى في خطابهم النقدي ، والنقاد في محاولاتهم لوضع أحكام جمالية للنص الشعري كانوا معتمدين على نموذج الشعر الجاهلي فالنقد العربي القديم اتخذ((في معظمه من الشعر الجاهلي نموذجا ومثالا وقوّم الشعر اللاحق إيجابا وسلبا بحسب اقترابه منه في الطريقة الشعرية أو ابتعاده عنها))[١]، و شعراء العصر الجاهلي في جملتهم مطبوعون[٢] ونجد أنّ بعض النقاد قد أشار إلى طبيعة اللغة الشعرية بوساطة عرضه لخصائص الطبع يقول ابن قتيبة : ((والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافى، وأراك فى صدر بيته عجزه، وفى فاتحته قافيته، وتبيّنت على شعره رونق الطبع ووشى الغريزة، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحّر))[٣] فلغة الشعر على وفق الوصف السابق تكون لغة سلسة منسابة لا تظهر عليها علامات قهر الألفاظ أو حشرها في غير مواطنها ، فالشاعر المطبوع لا تضطره مقتضيات النظم إلى إنتاج تراكيب وأبنية لا تعبر تماما عن مراده أو تخالف مشهور اللغة ، فالشاعر الجاهلي يمتلك ناصية الكلام ويتعالى عن ضغط النظم والنحو ، يقول ابن طباطبا ((الأشعار المحكمة، المتقنة، المستوفاة المعاني، الحسنة الوصف، السلسة الألفاظ، التي قد خرجت خروج النثر سهولة وانتظاما، فلا استكراه في قوافيها، ولا تكلف في معانيها))[٤] ويوجه ابن سنان الشاعر لتجنب التكلف وقهر الألفاظ في لغته : ((ولأن تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلسا سهلا ذا طلاوة ورونق خير من أن يعلوك فيجيء كزّا فجّا ومتجعدا جلفا))[٥]، وتراكيب الشعر الجاهلي ((تامة ولها دائما رصيد من المدلولات تعبر عنه ، وهي في الأكثر

(١) الشعرية العربية، أدونيس ،دار الآداب – بيروت ط٢- ١٩٨٩م:٥٦.

(٢) ينظر : الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، سعد إسماعيل شلبي ، مكتبة غريب – القاهرة د.ت: ٤١.

(٣) الشعر والشعراء: ٩١/١.

(٤) عيار الشعر: ٨٢.

(٥) الصناعتين:١٣٩.

مدلولات، والعبارة تستوفي أداء مدلولها فلا قصور فيها ولا عجز))[1] فلغة الشعر الجاهلي تخلو من الحشو غير المفيد الذي قد تنتجه مقتضيات النظم ، وسنورد بعض النماذج التي وردت فيها كلمة الحلم في مواطن وتراكيب مختلفة ، ونحاول أن نكشف تحقق خصوصية لغة الشعر الجاهلي في تلك النماذج .

من نماذج ورود كلمة الحلم في الشعر الجاهلي ورودها في منطقة القافية ونلحظ أن ورودها جاء منسابا لانجد فيه أثرا لتكلف النظم ومن أمثلة ذلك الورود

قول زهير[2] :

كامـــــل

حلـــوٌ أريـــبٌ فـــي حلاوتـــه مـــرّ كـــريمٌ ثابـــتُ الحلـــمِ

نلحظ أن مفردة الحلم في القافية لم تضطر الشاعر إلى تكوين تركيب متكلف لإنتاج تلك القافية ، بل جاء التركيب منسابا متدفقا، فالشاعر هنا يورد صفات الممدوح بتركيب غير معقد معدّدا إياها ، وورود لفظة الحلم جاء في سياق ذلك التعداد ، ولم يكن لمراعاة حركتها الأعرابية أثرا في تغيير تركيب البيت، فقد جاءت الكلمة مضافا إليه لصفة من الصفات التي عددها الشاعر للممدوح بطريقة لا يبدو عليها أي أثر للتكلف .

ونلاحظ ذلك في قول الأحوص اليربوعي [3]

طويـــــــــــل

وأنـا ابـنُ الـذي سـادَ الملـوكَ حياتـه وسـاسَ الأمـورَ بـالمروءةِ والحلـمِ

(١) تاريخ الأدب الجاهلي: ٢٢٦/١.

(٢) شعر زهير: ٢٧٦.

(٣) خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب: ١٦٤/٤.

نلحظ أنّ كلمة الحلم في القافية لم تكن سببا في انتاج بنية متكلفة ، فالتركيب منساب وإنتاج النسق النحوي لحركة القافية جاء عن طريق كلمة معطوفة على ماقبلها ، وهي ملائمة لها متوافقة مع السياق ، فهو هنا يبين سياسة الممدوح للأمور بالمروءة ، فكان ذكر الحلم معها أمراً مناسبا متوقعا، وبذلك حقق الشاعر التناغم مع دلالات النص والبنية النحوية الموافقة لنسق حركة الروي.

وقال لبيد[١]:

كامـــــــــل

مِـــنْ مَعْشَـــرٍ ســـنَّتْ لهـــمْ آبـــاؤهُمْ ولكـــلِّ قـــومٍ سُـــنَّة وإمامُهَـــا

لا يَطْبَعُـــونَ ولا يَبُـــورُ فَعَـــالُهُمْ إذ لا يميـــلُ مـــعَ الهَـــوى أحلامُهـــا

نلحظ أن كلمة (أحلامها) التي جاءت قافية كذلك لم تؤثر على بنية البيت قبلها، فجاء التركيب منساباً متسلسلاً ، تدلّ كل كلمة على مابعدها وترتبط بها.

واستعمل الشاعر الجاهلي كلمة(حلم) مضافة إلى ذاته، وهذه الاضافة لم تكن مجرد تركيب عرضي أو زيادة لإتمام متطلبات النظم ، بل لها ضمن سياقها دلالات وأبعاد ، من ذلك قول سعية بن العريض الْيَهُودِيّ[٢].

وافـــــــــــر

أَلا إِنّـــــي بليـــــت وقـــــدْ بَقِيـــــتُ وإنّـــي لَـــنْ أعُـــودَ كمَـــا غَنِيـــتُ

فـــــإنْ أودَي الشـــــبابُ فلـــــمْ أُضِـــــعهُ ولـــمْ اتكَـــلْ علـــى أَنّـــي غـــذيت

(١) ديوان لبيد بن ربيعة: ١١٦.

(٢) الاصمعيات: ٨٤.

إذا مَـــا يهتـــدى حلمـــي كفـــاني وأســـأل ذَا البيـــانِ إذَا عَيِيـــتُ

وَلَا الْحَـــيّ علَـــى الحَـــدَثانِ قـــوْمِي عَلـى الحَـدَثانِ مَـا تُبْنَـى البُيُـوتُ

أُيَاسِـــرُ معشـــري فِـــي كـــل امْـــر بايســرِ مَــا رأيــتُ وَمَــا أُريــتُ

يصف الشاعر هنا موقفه من الزمن ، فيبين أنّ الكل فان وما يبقى ويخلد هو الفعل، ثم يبن موقفه وعلاقته مع قومه، ويبين ثبات موقفه أمام متغير الفعل والنموذج الاجتماعي، والشاعر في كل ذلك يبين فلسفته الخاصة وموقفه من الزمن والمجتمع ، وهذه الفلسفة هي حلمه الذي أشار إليه ، وهو حلم تكون عنده واكتسبه بفضل تجاربه الخاصة ،فإضافة الحلم إلى ذات الشاعر يشير إلى دلالة التجربة الخاصة التي أكسبت الشاعر ذلك الحلم وجعلته ينطلق منه في طرح تصوره للحياة ، وبذلك تعالق التركيب النحوي مع دلالة النص ، فمعنى القصيدة نابع ((من طريقة بنائها ، وبناؤها يقوم على جمل ذات علاقات بين أجزاء الجملة الواحدة من جانب ، وبين الجملة والأخرى من جانب آخر))[١].

ونجد هذه الإضافة بتلك الدلالة عند السموأل أَخي سعية إذ يقول[٢].

خفيف

أَنـــا ميـــت إِذْ ذاكَ ثُمَّـــتَ حـــيٌّ ثُـــمَّ بعـــدَ الحيـــاةِ للبعـــثِ مَيـــتُ

إنَّ حِلمِـــي إذَا تغيَّـــبَ عَنِّـــي فـــاعْلَمي أَنَّنـــي كبيـــرٌ رُزِيـــتُ

فـأجعلنْ رِزقَـي الحـلالَ مـنْ الكسـ ـــبِ وبـــرَّاً ســـريَرتي مَـــا حَيِيـــتُ

ضِـيقُ الصَّـدْر بالخيانـة لَا يـنقص فَقـــري أَمـــانَتي مَـــا بَقيـــتُ

رُبَّ شـــتمٍ ســـمعتُهُ فتصامم ـــت وغـــىّ تركتـــهُ فكفيـــتُ

(١) اللغة وبناء الشعر: ٢٩.

(٢) الاصمعيات: ٨٥.

فيستعمل الشاعر هنا كلمة الحلم مضافة إلى ذاته في سياق يعرض فيه لبعض مواقفه ليشير إلى أنّ ذلك الحلم تكون وتكامل بسبب تلك التجارب الخاصة ،فهو حلم خاص بالشاعر، فإضافة الحلم إلى ياء المتكلم جاءت متعالقة مع دلالات النص لتوحي بقيمة دلالية خاصة.

قال زهير بن جناب(١):

وافـــــــــــر

لَقـــدْ علـــمَ القبائـــلُ أنّ ذكـــري بعيـــدٌ فـــي قضـــاعة أو نـــزارِ

فمـــا إبلـــي بمقتَـــدرٍ عليهـــا ولا حلمـــي الأصـــيلُ بمســـتعارِ

يشير الشاعر ذكر تفرده في قبيلته وأنّ كل شيء له هو خاص يتميّز به عن غيره ، فيضيف في الشطر الأول من البيت الثاني الأبل إلى ذاته وحماية الأبل تشير إلى القوة والمنعة ، فهو يشير إلى خصوصيته في تلك الصفة ، ثم يضيف في الشطر الثاني الحلم إلى ذاته ويصفه بالأصالة موحياً أن تلك الصفة خاصة به على جهة الأصالة والأصالة تلمح إلى توارث تلك الصفة ، فتركيب كلمة الحلم مع ياء الإضافة كان متناغما مع سياق النص وفاعلا في تكوين الصورة التي أراد الشاعر إيصالها .

وتبدو الإضافة كذلك عند النابغة في قوله (٢):

بسيط

إنّـــي كـــأنّي لـــدى النعمـــان خبّـــره بعـــض الأود حـــديثا غيـــر مكـــذوبِ

بـــأنّ حصـــناً وحيـــاً مـــن بنـــي أســـدٍ قـــاموا فقـــالوا غيـــر مقـــروبِ

(١) ديوان زهير بن جناب الكلبي ،صنعة محمد شفيق البيطار ، دار صادر –بيروت -١٩٩٩م: ٧٤.

(٢) ديوان النابغة :٤٩.

ضـــلت حلـــومهم عـــنهم وغـــرهم سـن المعيـدي فـي رعـي وتعزيـب

فأضاف الحلم إلى ضمير عائد إلى الآخر وهم الجماعة الذين عارضوا النعمان ، وهذه الإضافة منحت أحلام هؤلاء القوم صفة خاصة بهم وهي صفة الخفة وعدم الثبات وإمكانية الطيش، وهذه الصفة اكتسبوها نتيجة مواقفهم وتصرفاتهم الخاصة.

ونجد ذلك في قول الاعشى[١] :

بسيـــــط

لـم يـنقصِ الشـيبُ منـه مايُقـال لـهُ وقـد تجـاوزَ عنـهُ الجهـلُ فانقشـعَا

أغـرّ أبلـجَ يستسـقى الغمـام بـهِ لوصـارعَ النـاسَ عـن أحلامهـم صـرَعا

ففي البيت الثاني يقارن الشاعر بين حلم الممدوح وحلم بقية الناس ، فيجعل حلمه مقابل حلمهم ، فكأنّ الناس كلهم يشتركون في نوعية الحلم وطبيعته ، أما الممدوح ، فحلمه خاص متفرّد ، فكانت إضافة الحلم هنا داعمه لمراد الشاعر ، ومكملة لتفاصيل اللوحة الشعرية .

ويقول الحصين بن حمام الفزاري[٢]:

طويـــــــــــــل

دفعنـــاكُم بـــالحِلم حتَّـــى بَطِـــرتم وبـالرَّاح حتَّـى كـان دفـع الأصـابعِ

فلمّـــا رأينـــا شـــرَّكم غيـــرَ منتـــهٍ ومـا غـاب مـن أحلامكـم غيـر راجـعِ

(١) ديوان الاعشى: ١٠٧.

(٢) الممتع في صنعة الشعر: ٢٣٧.

فجاء بالحلم في البيت الأول معرفا بأل العهدية التي تشير إلى الحلم المعروف والمتعاهد عند الناس ، وهذا الحلم هو السلاح الذي استعمله قوم الشاعر لدفع خصومهم ، ثم يذكر الحلم في البيت الثاني مضافا إلى ضمير الخطاب العائد للخصوم ، وهذه الإضافة تجعل حلمهم من نوع خاص، فهو حلم مخالف للحلم المعهود الذي ذكره الشاعر في البيت الأوّل فهو حلم خاص بهم ؛ لذلك لم يصمد أمام الحلم العادي فتهاوى وغاب تاركا الجهل هو الحاكم المتحكم ، وبذلك كان لتركيب الحلم مع المضاف إليه دلالة فاعلة تتعالق وتؤازر بنيات النص الأخرى لتسهم في إنتاج الدلالة التي أرادها الشاعر .

ونجد الإضافة إلى غير الضمير عند النابغة في قوله [1] :

طـــــــويـــــــل

هــم الملــوكُ وأبنــاءُ الملــوكِ لهــم فضلٌ علـى النـاسِ فـي الآلاء والـنعمِ

أحـــلامُ عـــاد وأجســـاد مطهـــرةٌ مـــن المَعقّـــة والآفـــات والأثـــمِ

نلحظ في البيت الثاني مجيء التركيب الإضافي للحلم مع اسم ظاهر (عاد) وهذا التركيب في تعالقه مع سياق النص ومراعاته ثقافة المتلقي يقع ضمن الخصائص الفنية للشعر الجاهلي، فهذه الإضافة يدل ويشير عليها ماقبلها، فهو يصفهم بالعراقة والقدم في الصفات الحميدة، فعند ذكر الحلم والتهيؤ لإضافته سيكون من المتوقع لدى المتلقي أن يكون المضاف إليه عاد، فهي إضافة شائعة عند العرب[2] وهذا التلاحم والتوقع من صفات الشعر البليغ ؛ لذلك قيل في تعريف البلاغة ((أن يكون أول كلامك يدل على آخره، وآخره يرتبط

(١) ديوان النابغة الذبياني:١٠١.

(٢) ينظر : جمهرة الأمثال :٤٠٧/١.

بأوله))[1] وبذلك كان التركيب الاضافي للحلم منسابا متناغما مع بقية مفردات النص وتراكيبه.

ويقول الربيع بن أبي الحقيق [2]:

السريع

سائِل بنا خابِرَ أَكفائِنا والعِلمُ قد يُلفى لدى السائِلِ
لسنا إذا جارت دواعي الهوى واستمعَ المنصِتُ للقائِل
واعتلجَ القومُ بألبابِهِم بقابلِ الجورِ ولا الفاعِل
إنّا إذا نحكمُ في ديننا نرضى بحكم العادلِ الفاصِلِ
لا نجعلُ الباطلَ حقّاً ولا نلظُّ دونَ الحقِّ بالباطِلِ
نَخافُ أن تسفَهَ أحلامُنا فنخمُلَ الدهرَ مع الخامِلِ

فيضيف الحلم إلى ضمير المتكلم الخاص بالقبيلة ؛ ليشير إلى خصوصية الحلم الناتج عن خصوصية التجربة الجماعية ، بعد أن يعدد مواقف عدة من هذه التجارب الخاصة بالقبيلة ، ثم يصل إلى كلمة الحلم فنكون إضافتها إلى ضمير المتكلم متوقعة كون الكلام السابق كان مهيئا لذلك .

ويقول دريد بن الصمة [3]:

متقارب

إلَيكَ اِبنَ جُدعانَ أَعمَلتُها مُخَفَّفَةً لِلسُرى وَالنَصَب
فَلا خَفضَ حَتّى تُلاقي اِمرَأً جَوادَ الرِضا وحَليمَ الغَضَب

(١) العمدة: ٢٤٤/١.

(٢) لباب الآداب: ٣٥٨ .

(٣) ديوان دريد بن الصمة: ٣٣.

فنجد كلمة الحلم وردت معطوفة في نصوص عدة ، وقد جاء تركيب العطف موافقا لخصائص الشعر الجاهلي من الانسيابية والتوافق مع عموم دلالة النص يقول علقمة[١].

طويـــــــــــل

قَـد يديمــه التجريــب والحلــمُ إنّنــي أرى غفـلاتِ العـيشِ قبـل التجـاربِ

في هذا النص وقعت كلمة الحلم معطوفة ، وقد جاء المعطوف عليه موافقا ومنسجما مع المعطوف ، فهو مكمل دلالي للصورة التي أرادها الشاعر صورة المُجرب الحكيم.

ويقول علقمة كذلك[٢].

بسيـــــط

والجهــلُ ذو عــرضٍ لا يُســتراد لــهُ والحلــمُ آونــة فــي النــاس معــدومُ

نلحظ في هذا النص أن السياق سياق حكمة ، وقد بدأ بذم الجهل ، وكلمة الجهل تستحضر وتقتضي ضدها وهو الحلم، فأسهم مجيء كلمة الحلم في إطار المتوقع على جعلها متماسكة منسجمة مع مفردات النص، فتوقع الكلمة منحها انسيابية وسلاسة ، فكان العطف متناغما مع انسياب العبارة وترابطها.

ونجد الحلم يقع مضافا إليه ، لينسجم مع انسيابية التركيب ويتلاحم مع مفردات النص يقول الاعشى[٣] :

(١) ديوان علقمة ابن عبده: ٨٤.

(٢) شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، الاعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ،تحقيق : حنا نصر ، دار الكتاب العربي – ١٩٩٣م: ٤٤.

(٣) ديوان الاعشى: ٢٤٣.

رمـــــــــــل

فـــي شَـــبَابٍ كمَصَـــابِيحِ الـــدّجَى ظـــاهرُ النّعمَـــة فِـــيهِمْ وَالَفَـــرَحْ

رجُـــحُ الاحـــلامِ فـــي مجلسِـــهم كلّمـــا كلـــبٌ مِـــنَ النـــاسِ نـــبحْ

في هذا النص جاءت مادة الحلم مضافا إليه في قوله (رجح الإحلام) وهذا التركيب جاء استكمالاً لسرد الصفات التي ذكرها في البيت الأول ، فكان التركيب الإضافي بما فيه من استمرارية متوافقا مع ذلك السرد، وبذلك حققت انسيابية التركيب الإضافي تعالقاً وانسجاماً مع بنيات النص .

ويقول عامر بن الطفيل[1]:

وافـــــــر

وإنّـــي ســـوفَ أحكـــمُ غيـــر عـــادٍ ولا قـــذعٍ إذا الـــتُمسَ الجـــوابُ

حكومـــةَ حـــازمٍ لا عيـــبَ فيهـــا إذا مـــاالقومُ كظهـــمُ الخطـــابُ

فَـــإنَّ مَطيَّـــةَ الحِلـــمِ التَـــأَنّي عَلـــى مَهَـــلٍ وَلِلجَهـــلِ الشَـــبابُ

الشاعر في هذا النص يسرد صفات حكمه ثم ينتقل لتقرير حقيقة تدعم تلك الصفات، وهي أنّ مطية الحلم التأني، والحلم متوقع في السياق الذي عرضه الشاعر ؛لذلك فهو متلائم مع المضاف ومع عموم سياق النص ، وهذا التلاؤم الناتج عن التوقع منح النص انسيابية وسلاسة.

وقد تكون انسيابية التعبير ناتجة عن توقع التركيب الإضافي بطرفيه المضاف والمضاف إليه من ذلك قول طرفة[2]:

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٢٠.

(٢) ديوان طرفة بن العبد : ١٤١.

رمـــــــــــل

يَزَعــونَ الجَهــلَ فــي مَجْلِســهِمْ وهُـمُ أنصــارُ ذي الحِلــمِ الصَّــمَد

فعندما وصفهم الشاعر بأنهم ينبذون الجهل في مجلسهم ، فمن الطبيعي أن يكونوا أنصار لصاحب الحلم ، فلو قرأنا البيت ووقفنا عند قوله وهم أنصار سيكون توقع هذا التركيب الإضافي كبير جدا باعتبار سياق المعنى وسياق بنية القصيدة ، فالمعنى الدلالي يستلزم ذلك الخيار والوزن كذلك يقتضيه ، فهو ملائم ومتعالق مع الجميع ومن هنا اكتسب متانة التركيب مع انسيابيته ، و((خير الكلام المحبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض))[١].

ونجد هذا التوقع موجوداً في نماذج يقع فيها الحلم مفعولا به يقول زهير[٢]:

طـــــويـــــل

إذا أنتَ لم تُعرضْ عن الجهل والخنا أصــبتَ حليمــاً أو أصــابك جاهــلُ

فلعدم الاعراض عن الجهل والخنا نتيجة متوقعة هي الاصطدام مع حليم أو مع جاهل، وبما أن القافية لام مرفوعة سيكون من المتوقع تأخير ذكر الجاهل إلى منطقة القافية وجعله فاعلاً كون ذلك الفعل السلبي هو فعل الجاهل ، ولكون الجاهل هو الفاعل والمتحرك في هذا السياق يكون التركيب الذي يكون فيه الحلم مفعولا تركيبا متوقعاً ، فالتركيب الذي يقع فيه الحلم مفعولا به هنا جاء منسجما مع بقية بنيات النص منسابا لا تظهر عليه أي علامة تكلف، وتلك الخصيصة هي السبك الذي معناه ((السبك فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله))[٣].

---

(١) البديع في نقد الشعر: ١٦٣.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٢٦٨.

(٣) البديع في نقد الشعر: ١٦٣.

ونرى الحلم يرد في صيغة الفعل موافقا للسياق اللغوي الذي يرد فيه يقول مهلهل بن ربيعة في رثاء كليب[١].

وافر

وَإِنَّكَ كُنتَ تَحلُمُ عَن رِجالٍ وَتَعفو عَنهُمُ وَلَكَ اِقتِدارُ

وتمنعُ أنّ يمسهمُ لسانٌ مخافةَ من يجيرُ ولا يُجارُ

فقد ركز الشاعر في هذا النص على الفعل ، فيورد كل صفات الممدوح بصيغة فعلية ، وهذه الصيغ الفعلية لم تكن واردة بسبب ضغط مقتضيات النظم بل هي مرادة لتحقيق التناسب والانسجام ، ونجد التناسب في إيراد الفعل في قول الافوه الاودي [٢]

رمل

يحلم الْجَاهِل للسلم وَلَا يقر الْحلم اذا مَا الْقَوْم غاروا

بعد هذا العرض لملامح اللغة الشعرية من خلال النصوص التي ورد فيها ذكر الحلم نجد أنّ ورد كلمة الحلم ومشتقاتها ، وردت في تراكيب متعددة ، وقد جاءت هذه التراكيب سلسة متلاحمة مع بقية بنيات النص ، فهي بذلك تحقق أعلى مستوى من البناء ، وهو جودة السبك وتلاحم النسج والخلوّ من أود النظم [٣] وبذلك كان مضمون الحلم وارداً ضمن لغة سلسة منسابة ، لم تتعارض فيها الفكرة مع مقتضيات النظم لتؤدي إلى عسف في التركيب أو في اختيار المفردات .

(١) ديوان مهلهل بن ربيعة ، تقديم : طلال حرب ،الدار العالمية – بيروت د.ت: ٣٢.

(٢) ديوان الأفوه الأودي، تحقيق : محمد التونجي ،دار صادر – بيروت -١٩٩٨م: ٧٩.

(٣) ينظر : الصناعتين ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية – بيروت - ١٤١٩ هـ: ٥٨.

المبحث الثاني

فاعلية الصورة الشعرية في عرض مضامين الحلم

يمثل مدخل دراسة الصورة الشعرية من المداخل المهمة للكشف عن الجانب الفني في الخطاب الشعري ، فالصورة هي البنية المركزية للشعر[١] والنثر قد يشارك الشعر في اشتماله على الصورة، لكنّ الشعر بها أعرف ونصيبه منها أكبر[٢]والصورة دلالة على النبوغ الأصيل[٣] وهي طريقة من طرق التعبير ووجه من أوجه الدلالة لها فاعلية في إحداث معنى ذي تأثير[٤] فهي ((شكل خاص حافل بالدلالة والإيماء والإيحاء ، فهي بنية دينامية حية تتفاعل علاقاتها وتتآزر عناصرها في تجسيد الواقع النفسي والشعوري لدي المبدع))[٥] والتصوير الشعري ((إلهام غريزي يكشف عن عناصر الشبه بين الأشياء التي لا صلة بينها ويؤدي بذلك إلى إدراك شعوري أو بصري نافذ))[٦].

(١) ينظر : نظرية الأدب ، رينيه ويليك ، أوستن وارن ، ترجمة : عادل سلامة ، دار المريخ – الرياض -١٩٩٢م:٢٣٩.

(٢) ينظر : الخيال في الشعر العربي ، محمد الخضر التونسي ،المطبعة الرحمانية – دمشق د.ت: ٥.

(٣) ينظر : الصورة الشعرية سيسيل دي لونس ، ترجمة :أحمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ،سلمان حسن إبراهيم ، دار الرشيد – بغداد -١٩٨٢م: ٢٣.

(٤) ينظر : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ط٢- ١٩٩٢م: ٣٢٣.

(٥) الصورة البيانية في الموروث البلاغي ،حسن طبل ، مكتبة الإيمان – القاهرة – ٢٠٠٥م:٢٨.

(٦) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، إليزابيث دور ، ترجمة : محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة – منيمة –بيروت -١٩٦١م: ٦١.

إنّ عناصر الصورة تستمد من الواقع لكنها ليست تصويرا فوتغرافيّا ، بل هي تصوير للتجربة الخاصة ونقل للواقع الشعوري الخاص بالشاعر [١] كما إن ابداع الصور الشعرية لا يقوم على اكتشاف متشابهات حقيقية قريبة أو بعيدة ،لكنها ترتكز على أعراف حضارية [٢].

والصورة الشعرية في ابسط تعريف لها هي((رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة))[٣] وهي تلك التي((تقدّم تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن))[٤] ، ومفهوم الصورة الشعرية تطور من اقتصاره على التشبيه والمجاز إلى شمول الصورة الذهنية والصورة بوصفها رمزا[٥] والتصوير بالحقيقة ، فقد تخلو الصورة بالمعنى الحديث من المجاز المجاز فتكون عباراتها حقيقية الاستعمال[٦].

تتمثل أهمية الصورة في((الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى ونتأثر به))[٧] وللصورة الشعرية وظائف معينة، فمن وظائفها الإقناع والامتاع عن طريق الشرح والتوضيح [٨] ومصادر الصورة متعدّدة كالواقع وذات الشاعر وقدرته الخيالية، والثقافة[٩]؛ لذلك كان استعمال

(١) ينظر : الصورة البيانية في الموروث البلاغي: ٢٧.

(٢) ينظر : تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، خالد الزواوي ، مؤسسة حورس - الاسكندرية – ٢٠٠٥م: ٨.

(٣) الصورة الشعرية سيسيل دي لونس: ٢٣.

(٤) التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ،دار العودة – بيروت د.ت :٧١.

(٥) ينظر : الصورة في الشعر العربي: ١٥.

(٦) ينظر : المصدر نفسه: ٢٥.

(٧) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٢٨.

(٨) ينظر : المصدر نفسه: ٣٣٢.

(٩) ينظر : تطور الصورة في الشعر الجاهلي الزواوي: ٥٧.

الصورة يختلف بين شاعر وآخر وبين عصر وآخر[١]، ودراسة الصورة الشعرية لا يسهم في الكشف عن إبداعية الشاعر فحسب، بل قد تسهم في كشف التصورات والأبعاد التي قد تحيط بمضمون معيّن ؛ لذلك سنحاول – من خلال دراسة الصورة عبر مضامين الحلم – أنّ نتعرف عن الإبعاد والإيحاءات والمشاعر التي تكتنزها الصورة ضمن نطاق تلك المضامين ،فالشاعر الجاهلي لم يقصد بناء الصورة لذاتها، ولكن؛ ليعبر من خلالها عن حاجاته وكوامنه، ومواقفه ونظرته إلى الحياة[٢].

وللصورة في الشعر الجاهلي خصائص معينة تتعلق بطبيعة الشاعر ومحيطه ، فالبساطة والوضوح في معيشة الشاعر الجاهلي جعلت صوره قريبة المتناول واضحة ؛ لذلك وجه النقاد إتباع ذلك النمط من التصوير عن طريق المقاربة في التشبيه ومناسبة المستعار منه للمستعار له[٣] كما كانت صورهم تقع ضمن حدود المحيط البيئي ، يقول ابن طباطبا: ((اعلم أن العرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات والحكم ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرت به تجاربها، وهم أهل وبر، صحونهم البوادي وسقوفهم السماء فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منهما وفيهما))[٤]، فالصورة في الشعر الجاهلي صورة بسيطة عفوية تقع ضمن نطاق الواقع ، وتعبر عن أحاسيس الشاعر تجاه ذلك الواقع.

ولقد اشتمل الخطاب الشعري للحلم صورا متنوعة أسهمت في الكشف عن تصوّر الشاعر الجاهلي لذلك المضمون ، وهو تصور توصله لنا الصورة الشعرية بما لها من قدرة على الإيحاء ونقل الموقف الشعوري أمام ماللحلم من وظيفة يريد الشاعر تصويرها ، ونجد في النصوص التي عالجت مضامين الحلم أن التصوير بالحقيقة يأخذ الحيّز الأكبر من

(١) فن الشعر ، إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ط ٣ د.ت: ٢٣٠.

(٢) ينظر : تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، علي البطل ، دار الأندلس – ط٢ – ١٩٨١م: ١١.

(٣) ينظر : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٩.

(٤) عيار الشعر: ١٥.

نماذج الصورة الشعرية خاصة في المواطن التي تعرض موقف الحلم عن طريق سرد صورة ذلك الموقف، من ذلك ما نجده تحت مضمون وصف صراع الحلم والجهل يقول حاتم الطائي[١]:

وافر

وما مِن شيمتي شتمُ ابنَ عمي وما أنا مخلفٌ من يَرتَجيني

وكلمةُ حاسدٍ من غير جرمٍ سَمعتُ فقلتُ مرّي فانفذيني

فعابوها عليَّ ولم تعِبْني ولم يعْرَق لها يوماً جبيني

وذو اللونين يلقاني طليقاً وليس إذا تغيَّب يأتليني(*)

نلحظ أن حاتم الطائي يستعمل هنا تعبيرات حقيقية لعرض صورة ذلك الموقف الذي يصور فيه حلمه أمام ابن عمه، فهو يعرض لصورة الحاسد وهو يؤذيه بالكلام ، وكيف أنه تجاوز ذلك ولم يتأثر بكلام العائبين له، ويبدو أن حاتم الطائي عمد إلى أسلوب التصوير الحقيقي ؛ ليشير إلى خصوصية هذه التجربة وواقعيتها، ومن نماذج التصوير بالحقيقة لذلك الموقف الذي عرضه حاتم الطائي قول المثقب العبدي[٢] :

رمل

وكلام سيئ قَدْ وُقِرَتْ[٣] أُذُني عَنهُ وما بِي مِنْ صَمَمْ

فَتَعَزَّيْتُ خَشاةً أَنْ يَرَى جاهِلٌ أَنِّي كما كانَ زَعَمْ

---

(١) ديوان حاتم: ٢٨.

(*) الائتلاء الحلف / ينظر : تهذيب اللغة: ٣١٠/١٥.

(٢) المفضليات: ٢٩٤.

(٣) وقرت أذنه بالكسر توقر وقرا أي صمت /الصحاح: ٨٤٨/٢.

فهو يصور صبره وحلمه عن ذلك المسيء المتعدي كأنما لا يسمع كلامه ، فصورة موقف الحلم هنا صورة التجاهل وعدم الاهتمام خشية الانجرار للجهل في حالة الرّد على ذلك السفيه [١]، وهي صورة استعمل فيها الشاعر تعبيرات حقيقية ، ونجد صورة أخرى لموقف تجاهل المسيء مزج بها الشاعر بين التصوير بالحقيقة والتصوير الاستعاري، كما يتضح ذلك ذلك في قول شمر بن عمر الحنفي[٢] .

الكامـــــــل

وَلقــدْ مــررْتُ علــى اللئــيمِ يسـبُّني فمضــيْتُ ثُمَّــت قُلْــتُ لَا يعْنيِنِــي

غَضْــبانَ ممتلئــاً علــيَّ إهابــهُ إنِّــي وربِّــكَ سُــخْطُهُ يرْضــيني

يَــا ربَّ نكْــسٍ[٣] إنْ أتتْــهُ منيَّتــي فــرِحٌ وخِــرْقٍ إنْ هَلَكْــتُ حــزينُ

إذ يصور الشاعر في البيت الأول بأسلوب الحقيقة تجاهله للئيم الذي يتعرض له بالسباب، ثم يصوّر حالة ذلك اللئيم في البيت الثاني فهو غضبان ممتليء الإهاب والإهاب في الأصل هو الجلد الذي لم يدبغ واستعير هنا لجلد الانسان[٤] وهذه الاستعارة في هذا السياق توحي بأبعاد لشخصية هذا اللئيم الذي يتعرض للناس بالسب والشتم، فاستعمال الإهاب الخاص بجلد الحيوان بدل الجلد يشير إلى صفة غير إنسانية لهذا اللئيم، فالشاعر هنا مزج بين التصوير بالحقيقة ، والتصوير المجازي ليوضح صورة اللئيم وهو يتصف بما هو غير إنساني .

(١) ينظر: الحلم في الشعر الجاهلي ، عبد الرزاق خليفة الدليمي، مجلة المورد، عدد ٣، مج٤ -٢٠٠٤: ٩.

(٢) الاصمعيات: ١٢٦.

(٣) النكس من القوم: المقصر عن غاية النجدة والكرم /تهذيب اللغة: ٤٢/١٠.

(٤) ينظر: خزانة الأدب: ٣٨٥/١.

ونرى الشعراء قد يستعملون الصورة المجازية في عرض موقف مواجهة السفيه وآلية التخلّص منه ، يقول عدي بن زيد[١].

طويـــل

وأطـفِ حـديثَ الســوءِ بالصـمتِ إنّــه متـــى يـــؤرَ نـــارا للهجـــاءِ تأجّجـــا

فيصور مواجهة السفيه بالصمت والاعراض عنه بصورة إطفاء النار ومواجهة تأججها المتوقع، وصورة إخماد النار والاحتراز من تأججها المحتمل هي صورة تعبر بشكل دقيق عن ذلك الموقف، فموقف مواجهة السفيه شبيه بموقف مواجهة النار التي يؤججها ما يلقى فيها من وقود، والصورة هنا صورة استعارية ، فقد شبه الشاعر الاعراض عن السفيه بإطفاء النار ، ثم حذف المشبه ، وهي صورة توحي بأدق تفاصيل الموقف الذي أراد الشاعر نقله.

ويبدو التصوير ضمن مضمون مواجهة الجاهل في قول زهير[٢].

طويـــــل

وذي خطـلٍ *فـــي القـــولِ يحســبُ أنّـــه مصـيبٌ فمـا يُلمـمْ بـهِ فهـو قائلُـهْ

عبـــأتَ لـــهُ حلمـــاً وأكرمـــتَ غيـــرهُ وأعرضْـــتَ عنـــهُ وهـــو بـــادٍ مقاتلُـــه

فينشيء صورة استعارية إذ يشبه الاستعداد لمواجهة الجاهل بالاستعداد للحرب ، حاذفا المشبه[٣] وهذه الصورة تكشف عن دقائق الموقف الذي أراد الشاعر تصويره ، فذلك الجاهل الذي يواجهه الشاعر هو شخص يعتقد أنّه مصيب في القول وهذا الاعتقاد يجعله مستعداً للجدال والمحاربة في الكلام ، فتصوير الرّد على ذلك الشخص بالاستعداد للحرب يسهم في

---

(١) ديوان عدي بن زيد: ١١٨.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٥٩.

(*) الخطل: المنطق الفاسد المضطرب /الصحاح: ١٦٨٥/٤.

(٣) ينظر : خزانة الأدب:١٠ /٤٠٦.

استكمال أبعاد الصورة ويثري ملامحها ، وتصوير مواجهة الجاهل بالاستعداد للحرب يكشف عن مشاعر تشير إلى طبيعة العربي في مواجهة التحديات وهي مشاعر التحدي والحرب التي فرضتها عليه طبيعة الحياة البدوية التي اعتادت الحروب والنزاع والتحدي.

ومن الصور الأخرى ضمن مضمون مواجهة السفاهة بالحلم قول ابن عنقاء الفزاري[1]:

طويـــــــل

إذَا قِيلــتْ الفَحشــاءُ أغْضــى كأنّــه ذَليــلٌ بــلا ذلّ ولــوْ شــاءَ لانتصــرْ

يقدم الشاعر هنا صورة تشبيهية للحليم في مواجهة السفيه الناطق بالفحشاء ، فيصور إغضائه وتجاوزه عنه بإغضاء الذليل ثم يحترز معدلاً في الصورة ،فيبين أنّه ذليلٌ بلا ذل وهو يملك قدرة الانتصار والردّ، فالشاعر هنا يقتطع مشهد إغضاء الذليل وهو مشهد مناسب لتصوير هيئة الحليم أمام كلام الفحش، لكنه ليس بإغضاء الذل بل هو اغضاء الحليم الحيي الممتنع عن الردّ ترفعا وحياء.

ويقول معن بن أوس مصوراً أحد مشاهد مواجهة الحلم مع ضده[2]:

طويـــــــل

وَذي رَحِــمٍ قَلمــتُ أَظفــارَ ضَــغنِهِ بِحِلمِــيَ عَنــهُ وَهُــوَ لَــيسَ لَــهُ حِلــمُ

يصور الشاعر هنا الضعن بإنسان أو حيوان له أظفار قد قلمها بشفرة حلمه ، وتقليم الأظافر يشير إلى إزالة أداة الأذى التي يمكن أن يستعملها ذلك الجاهل صاحب الضغن ،

(١) معجم الشعراء ٣٢٣ ، و ابن عنقاء الفزاري وهي أمه واسمه قيس ابن بجرة وقيل عبد قيس ابن بجرة من بني شمخ بن فزارة ثم من بني ناشب. عاش في الجاهلية دهراً وأدرك الإسلام كبيراً وأسلم /معجم الشعراء: ٣٢٣.

(٢) ديوان معن بن أوس المزني: ٤٠.

وهذه الصورة المجازية التي قدّمها الشاعر توحي بأدق تفاصيل لوحة مواجهة السفيه أو الجاهل أو صاحب الضغن بسلاح الحلم، فصورة الحلم مقطّعا أظافر الضغن هي صورة مكثفة تكتنز أبعاد لوحة المواجهة جميعها، فالحلم في هذه اللوحة هو الأداة التي تقطع الطريق على الجاهل أو السفيه وتبعد أذاه، فبتقليم أظفار الضغن يفقده القدرة على الأذى والتأثير ، فمحور لوحة المواجهة بين الحليم والسفيه هي تجريد ذلك السفيه من قدرة الأذى عن طريق فعل استباقي يجرده من قدرته على الأذى .

ويقول ابن الاطنابة مقدما صورة أخرى من صور صراع الحلم والجهل(١):

كامـــــــــــــل

لا يطبعــون *وهــم علــى أحســابهم يشـــفون بـــالأَحلامِ داءَ الجاهـــلِ

فيصور المواجهة بين الحلم والجهل بصورة صراع المرض والشفاء ، وكون الحلم هو العلاج الذي يشفي مرض الجهل، وهذه الصورة تقع ضمن مضمون كون الحلم يقطع الطريق على الجهل ويعالجه ، وصورة الحلم شافياً للجهل من الصور المتكررة في مضامين الحلم يقول زهير(٢):

طويـــــــــل

وَإِن جِئــتَهُم أَلفَيــتَ حَــولَ بُيــوتِهِم مَجـالِسَ قَـد يُشـفى بِأَحلامِهـا الجَهـلُ

(١) معجم الشعراء: ٢٠٤ ؛ عمرو بن الإطنابة وهي أمه وأبوه عامر بن زيد مناة بن عامر بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج وأمه الإطنابة بنت شهاب بن زبان من بني القين بن جسر وكان أشرف الخزرج ،وهو شاعر فارس معروف قديم /معجم الشعراء: ٢٠٣ .

(*) أي لا يدنسون /شرح المعلقات التسع: ٣٠٢.

(٢) شعر زهير بن أبي سلمى: ٤٣.

ومن الصور الأخرى ضمن مضمون كشف مقدار الحليم قول الاعشى[١] :

لم ينقصِ الشيبُ منه مايقال لهُ وقد تجاوزَ عنهُ الجَهلُ فانقشعَا

حُلماءُ وَالحَربُ العَوانُ سَفِيهَةٌ سُفهَاءُ عِندَ الضَّيفِ وَهو حَليمُ

يرسم الشاعر هنا صورة مجازية للحرب ،فيصورها بصورة السفيه كونها عند اشتعالها لا تخضع للمنطق ولا يكون للعقل فعل في تصرفاتها، وجعلهم حلماء في ظل سفاهة الحرب، يصور جانبا من صراع الحلم والجهل، وكون الحلم يمكن أنْ ينصر حتى في أشد المواجهات، وصورة الحلم أمام سفاهة الحرب صورة تمثل الحكمة في إدارة الصراع والخروج منه منتصراً، فهاجس الحرب يسكن كيان العربي لذلك نجده يلوّن أكثر صوره.

ومن الصور الأخرى ضمن مضمون كشف مقدار الحلم قول بشر بن أبي خازم[٢] :

بسيط

القاعِدينَ إذا ما الجَهلُ قيمَ بِهِ وَالثاقِبينَ إذا ما مَعشَرٌ خَمِدوا

وقوله(القاعدين إذا ما الجهل قيم به) كناية عن الحلم ، وهذه الصورة توضح نوع من الصراع القائم بين الجهل والحلم لتكشف من خلال انتصار الحلم أفضلية صاحبه، فهذه الصورة تُبين عن مشهد من مشاهد الحلم وهو مشهد يتضمن حركة وثبات أمام قوة الإغراء ومحفّز الطيش، فهناك قعود أمام قيام ، وهذا القيام بالجهل يشير إلى تحقق فعلي ، ووجود الفعل ووقوعه يكون أكثر دافعية لمواجهته بفعل ، لكن هولاء القوم قعدوا ، ولم يستفزهم وقوع القول، وبذلك كان خيار الحلم وترك الفعل الموازي قاطعا لكل طرق الجهل والسفه المحتملة أمام مواجهة فعل الجهل بفعل مثله ، وبذلك استطاع الشاعر بهذه اللوحة أنْ يضيف مشهدا

(١) ديوان الاعشى: ١٠٧.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ٨٥.

جديدا من مشاهد صراع الحلم والجهل يبين فيه فضل صاحب الحلم معتمدا على مقدار حدّة المشهد.

ومن الصور الأخرى تحت مضمون تمكّن الحلم في أصحابه قول خفاف بن مالك[١]:

طويـــــــــل

نـريحُ فضـولَ الحلـمِ وسـطَ بيوتِنـا إذا الحلمـاءُ عـنهمُ الحلـم أعْزَبـوا

ففي هذا البيت يرسم الشاعر صورة استعارية ، فيجعل صورة الحلم صورة من يريح إبله أي يردها إلى المرعى[٢] ويجعل إراحة الحلم وسط البيوت ليشير إلى أنّ حلمهم يمتدّ أثره إلى جميع القبيلة، فإراحة الحلم وسط البيوت صورة إستعارية تبين مدى تمكّن الحلم ووصول نفعه لجميع القبيلة، وصورة إراحة الإبل وسط البيوت صورة توحي بالطمأنينة والاستقرار، وتشكيل صورة الحلم من ذلك المشهد يوحي كذلك لجانب الطمأنينة والاستقرار الذي يجلبه الحلم بوصفها عاملا ضابطاً لتصرفات المجتمع.

ومن المضامين الأخرى لصور الحلم مضمون الرزانة والرجحان ، وهو الأساس الذي انطلق من العرب في وصف الحلم[٣] وعلى هذا الأساس أقام الشعراء كثيراً من صور الحلم يقول لبيد بن أبي ربيعة العامري في وصف قومه[٤].

(١) المؤتلف والمختلف: ١٣٧. وخفاف بن مالك بن عبد يغوث بن علي بن ربيعة بن كابية بن حرقوص بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم أدرك الإسلام. شاعر فارس /المؤتلف والمختلف: ١٣٧.

(٢) ينظر : معجم ديوان الأدب: ٤١٩/٣.

(٣) ينظر الصناعتين: ١١٩.

(٤) ديوان لبيد بن أبي ربيعة: ١٩٣.

كامـــــــــل

وَلَهُـــم حُلـــومٌ كَالجِبـــالِ وَســـادَةٌ نُجُـــبٌ وَفَـــرعٌ ماجِـــدٌ وَأَرومُ[1]

فيجعل حلمهم بصورة الجبال ، والحبال هي أوضح مشبه به لتوضيح وبيان الرزانة والثقل والرجحان، وتشبيه الحلم بالجبال لا يشير إلى الرزانة فقط ،بل يوحي بالهيبة والعراقة لذلك الحلم ،فهو حلم رزين مهيب عريق.

ويقول أبو كاهل اليشكري في قوله مفتخرا بقومه[2]:

وافـــــــر

وُزُنُ الأَحـــــلامِ إِن هُـــم وازَنُـــوا صـادِقوا البَـأسِ إِذا البَـأسُ نَصَـعْ

فيصوّر رزانة حلمهم عن طريق عرض صورة ميزان تميل فيه كفة حلمهم، والشاعر هنا يضمن هذه اللوحة بعداً حركيّا فرجاحة أحلامهم تتكشف وتتبين عن طريق فعل الموازنة، واظهار رجاحة الوزن عن طريق صورة حركية تسهم في بيان تلك الرجاحة بصورة أوضح، وتصوير الحلم بالرزانة والثقل لا يأتي من أصالة هذه الصفة في صاحبها، بل قد يكون من صعوبة التخلق بهذه الصفة لما تتطلبه من صبر ومطاولة ؛ لذلك قال أحيحة بن الجلاح[3]:

وافـــــــر

فَـــإِنّ الجَهـــلَ مَحمِلُـــهُ خَفيـــفٌ وَإِنَّ الحِلـــــمَ مَحمِلُـــــهُ ثَقيـــلُ

فصوّر الحلم بصورة الحمل الثقيل، فكما أنّ الحمل الحسي الثقيل يتطلب صبراً ومطاولة حتّى وصول الهدف، كذلك الحلم.

(١) الأروم الأصول /تهذيب اللغة:٢١٥/١٥.

(٢) المفضليات :١٩٥.

(٣) ديوان أحيحة بن الجلاح: ٧٨.

ومن صور رزانة الحلم قول الخنساء[١]:

طويل

فَتى السِنِّ كَهلُ الحِلمِ لا مُتَسَرِّعٌ وَلا جامِدٌ جَعدُ اليَدَينِ جَديبُ

والكهل من صفات الانسان لا من صفات القيم المعنوية فالكهل من الرجال من جاوز الثلاثين وسمّي بذلك لكماله واجتماع قوته[٢]، فقولها كهل الحلم هي صورة استعارية توضح مدى رزانة حلمه فهو كالرجل الكهل في كماله واجتماع قوته.

وتبدو صور الحلم تحت مضمون عرض فعل العفو والصفح يقول أمية بن أبي الصلت[٣].

سريع

كأنّما الورد الذي نشرهُ يعبقُ من طيبِ معانيكا

دماءُ أعدائكَ مسفوكةٌ قد قابلت بيضَ أياديكا

يصور الشاعر هنا فعل الصفح بصورة طريفة مستغلا وجه الشبه على الرغم من بعده ليجعله قريبا معقولاً، فيبدأ هذه الصورة بقلب الواقع ليجعل الورد هو من يعبق من طيب معاني الممدوح ،ثم يجعل هذا المشهد مشبها ، ويأتي بالمشبه به وهو مشهد دماء الأعادي المسفوحة وهي تقابل عفوا وصفحا من ذلك الممدوح ، فهو عفو عند المقدرة فسفك دمائهم دليل على هزيمتهم ، فالممدوح يعفو عفو المنتصر.

(١) ديوان الخنساء: ٢٦.

(٢) ينظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) ،تحقيق: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٢: ٢٥٧/٢.

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت: ٩٣.

ومن الصور الأخرى ما وقع تحت مضمون وصف تأثير الحلم في المجلس كما في قول طرفة [١].

وافـــــــــر

نَـــزَعُ الجاهِـــلَ فـــي مَجلِســـنا فَتَـــرى المَجلِـــسَ فينـــا كَـــالحَرَمْ

يشبه طرفة هنا المجلس الذي يُردع فيه الجاهل وينتصر فيه الحلماء بالحرم ، والحرم مكان العبادة المقدس[٢] وهذا المكان يسود فيه الخشوع والاحترام والهدوء، وصورة الحرم تلك تبين فاعلية الحلم في توجيه المجلس وطبعه بصفة الهدوء والخشوع والاحترام المتبادل .

(١) ديوان طرفة: ٧٦.

(٢) ينظر: تاج العروس: ٤٥٣/٣١.

المبحث الثالث

الإيقاع فاعلا في إيصال مضامين الحلم

الإيقاع الشعري من المداخل المهمة لدراسة النص الشعري الكاشفة عن فنية ذلك النص بما للإيقاع من قدرة على التوصيل والتدليل، فالشعر في حقيقته الجوهرية ليس إلا ((كلاماً موسيقيّا تنفعل لموسيقاه النفوس وتتأثر بها القلوب))[١] فتلك التأثيرات لا تتعلق بالجانب الخارجي فقط، بل تربط بالمعنى والفكرة والتخييل[٢]، فالإيقاع((يثير استجابتنا للمعنى الذي يريد الشاعر توصيله))[٣] والإيقاع لا يعتمد على الجانب السمعي فقط بل يمتد إلى كيان النفس الحساسة كله[٤] وللشعر العربي مدخلان لدراسة إيقاعه: الأول الايقاع الخارجي متمثلاً بالوزن، والوزن لا يدرس بوصفه بناء مجرداً منفصلا عن تحققه اللغوي بل يدرس ضمن هذا التحقق، فتأثيره بتحققه اللغوي ،فهو بهذا التحقق يحدث تغييراً في نظام الشعور[٥] فهو((وسيلة لها بعدها التعبيري في العمل الأدبي))[٦] فللوزن قدرة على التحكم في الانفعال بشكل مباشر[٧] .

---

(١) موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو مصرية – القاهرة ط٢- ١٩٥٢م: ١٨.

(٢) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ، مدخل لغوي أسلوبي ، محمد العبد ، دار المعارف – القاهرة – ١٩٨٨م: ١٣.

(٣) المصدر نفسه : ٣٣.

(٤) ينظر : الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة : محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة منيمة – بيروت -١٩٦١م : ٤٣.

(٥) ينظر : مباديء النقد الأدبي والعلم والشعر ، أ.أ رتشاردز، ترجمة : محمد مصطفى بدوي –المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة -٢٠٠٥م: ١٩٤.

(٦) الايقاع في قصيدة العمود من خلال الخطاب النقدي العربي ، علي عبد رمضان، البصائر – بيروت - ٢٠١٦م: ١٥١.

(٧) ينظر : المصدر نفسه ١٩٦

فله على الرغم من شكليته الخارجية قيمة انفعالية [١]وللوزن على وفق ذلك فاعلية دلالية تسهم في كشف ممكنات النص الجمالية وطاقاته التصويرية ، والنوع الثاني من الإيقاع هو الإيقاع الداخلي ويتحقق هذا الإيقاع في الشعر الجاهلي من اختيار كلمات لها بنية صوتية مرتبطة بالمعنى، أو الميل إلى تكرار صوت أو أكثر للإيحاء بالمعنى أو تقسيم أجزاء البيت على نحو معيّن[٢] ((إنّ لبعض الأصوات قدرة على التكيف والتوافق مع ظلال المشاعر في أدق حالاتها[٣]، والإيقاع في الشعر مهما اختلفت أنواعه ((هو إيقاع موظّف لتوصيل المعنى على نحو فنّي))[٤].

إنّ للإيقاع على وفق ماتقدم فاعلية دلالية تسهم في إيصال الصور والمشاعر التي يريد الشاعر إيصالها ، والنموذج الذي سنبحثه هنا لايمثل القصيدة العربية بتمامها كي نقوم بتحليله على وفق الخصائص الإيقاعية لنموذج القصيدة بل هو مضمون متحقق ضمن قصيدة أو مقطوعة ، لكنّا سنعتمد خصائص الموسيقى الخارجية ومالها من فاعلية دلالية تسهم في إيصال مضمون الحلم ، مع دور الموسيقى الداخلية وما لها من قدرة على التدليل والإيحاء وتحقق ذلك في عرض مضامين الحلم في دراستنا في هذا المبحث.

من النصوص التي كان للإيقاع أثر في إيصال مضمون الحلم قول امريء القيس[٥].

القيس[٥].

---

(١) ينظر : لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية ،السعيد الورقي ،دار المعارف – القاهرة -١٩٨٣م: ١٨٧.

(٢) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: ٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣٢.

(٥) ديوان امريء القيس: ٢٣٨.

الكامـــــــل

نظَـــرَتْ إلَيْـــكَ بَعَـــيْنِ جازِئَـــة حَـــوْرَاءَ حانِيَـــة علـــى طِفْـــلِ

فَلَهـــــا مُقلَّـــــدُها وَمُقْلَتُهـــــا وَلَهـــا عَلَيْـــهِ سَـــرَواَة الفَضْـــلِ

أقْبَلْـــتُ مُقْتَصِـــداً وَرَاجَعَنـــي حِلْمـــي وَسُـــدِّدَ لِلتُّقَـــى فِعْلـــي

في هذا النص ورد الحلم ضمن سياق الحكمة الممزوج بالجدية والحماسة والعزم ، فهو مضمون جاد حاسم وقد جاء هذا النص على بحر الكامل والكامل ((فيه لون خاص من الموسيقا يجعله إن أريد به الجد فخمًا جليلا مع عنصر ترنمي ظاهر))[١] وهو إلى الشدّ أقرب منه إلى الرقة[٢]، فهو هنا مناسب لدلالة الجدّ والحزم ويتآلف معها ليمنحها تمكناً دلاليّا بما لبحر الكامل من موسيقى توحي بالجدة.

كذلك لاتقتصر الخصائص الدلالية للبحر على شكل البحر الخارجي بل يمكن تلمس تلك الخصائص داخل البحر ، فبإمكان((الشعراء أن يتصرفوا داخل البحر الواحد فيخرجوا منه أعداداً كبيرة من الأوزان المختلفة من النسق والنغم))[٣] فعن طريق تلوين الموسيقى بما للتفعيلات من إمكانات تبادلية داخل الوزن يمكن تحقيق فاعلية دلالية تسهم في نقل المشاعر والصور، لكن ذلك لا يتحقق بذلك التلوين المجرد ،فجمال الإيقاع وتمثيله للشعور لا يتحقق بمجرّد تلوين وحدات الوزن بل بتعاضد الألفاظ مع هذا التلوين، فهو الأساس في

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب ، مطبعة حكومة الكويت ط٣-١٩٨٩م: ٣٠٢/١.

(٢) ينظر : فن التقطيع الشعري والقافية ، صفاء خلوصي ، مكتبة المثنى – بغداد ط٥ -١٩٧٧م: ٩٥.

(٣) الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت - ١٩٩٩م: ٢٢٦.

التعبير ونقل المعنى[١]((إن جانبا كبيراً من العلاقة العضوية للوزن باللغة في الشعر يظهرها تعاضد التفعيلة وتشكيلاتها البديلة مع مفردات السياق اللغوي ؛لأنّه المحك الدقيق الذي يظهر مدى تفاعل الوزن مع الصياغة اللغوية))[٢] وفي نصّ امريء القيس السابق نلحظ في البيت الأخير الذي يتجلى فيه مضمون الحلم يتكون من التشكيل الآتي للتفعيلات:

أَقْبَلْـــتُ مُقْ/تَصِـــداً وَرَا/جَعَنـــي حِلْمـــي وَسُـــدِ/دَ لِلتُّقَـــى/ فِعْلـــي

مُتْفـــاعلن / مُتَفَـــاعِلن/ مُتَفـــا مُتْفـــاعلن/ مُتَفَـــاعِلن/ متْفـــا

هناك تبادل بين ممكنات التفعيلات في هذا البحر إذْ تتبادل فيه التفعيلة الصحيحة (متَفاعلن) مع التفعيلة المضمرة[٣](متْفاعلن) ويبدو أن وراء هذا التلوين في موسيقى التفعيلات بعدا دلالياً يوحي بموقف شعوري انطلق منه الشاعر يتمثل في في موقف الحزم والجد للتغير ومطاوعة نفسه لذلك الموقف ، وقد ابتدأ الشاعر بيته بالتفعيلة المضمرة ثم الصحيحة بشكل دوري في شعره ، والتفعيلة المضمرة تتميز بنوع من الحدة الإيقاعية مقارنة بالتفعيلة الصحيحة ، وبذلك يتشكل تموج إيقاعي داخل الوزن يتمثل في تبادل الحدّة واللين ، وهذا التبادل يماثل الصراع الذي عرضه الشاعر ، صراع الحزم والجدّ في ترك اللهو مع مطاوعة نفسه لذلك الخيار الجاد الحازم خيار الحلم والحكمة ، وبذلك شكل التلوين الموسيقى في التفعيلات بعداً دلالياً يوافق الموقف الشعوري والدلالة التي أراد الشاعر إيصالها .

---

(١) الايقاع في قصيدة العمود: ١٥٨.

(٢) الإيقاع في قصيدة العمود: ١٥٩.

(٣) الاضمار هو تسكين الثاني من الجزء / ينظر : شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي ،دار الرشيد – بغداد ، ١٩٦٨م : ٤٥.

كذلك نجد موسيقى البحر دالة على المضمون في قول حجل بن نضلة[1].

كامـــــــل

أبلِـــغْ مُعَاوِيَـــةَ المُمَـــزِّقَ آيَـــة عنـي فلسـت كـبعض مَـا يَتَقـوَّلُ

إنْ تلقنِـي لَا تَلْـقَ نهـزَةَ(*) واحِـدٍ لَا طـائِشٌ رَعِـشٌ(**)وَلَا أنَـا أعْـزَلُ

في هذا النصّ يُعرّض الشاعر بخيار الحلم ويرى أنّ خيار الجهل هو الخيار المناسب ويبدي استعداده لتكاليف ذلك الخيار بدون ضعف أو تردّد ، وهذا المضمون يتطلب حشد كل العناصر التي تدلّ على القوة ، فكان للكامل وموسيقاه التي تناسب مواقف الجد والقوة فاعلية في تدعيم لغة الشاعر لتحقيق مراده .

وكان لممكنات التفعيلة التي اختارها أثر في زيادة الدلالة على القوة والثبات ففي قوله:

إنْ تلقنِـــي/ لَا تَلْـــقَ نه/ـــزَةَ واحِـــدٍ لَا طـائِشٌ /رَعِـشٌ وَلَا /أنَـا أعْـزَلُ

متْفـاعلن / متْفـاعلن / متَفـاعلن متْفـاعلن / متَفـاعلن / متْفـاعلن

نلحظ أنْ التفعيلة الشائعة في هذا البيت هي التفعيلة المضمرة ، وهذا الشيوع خلق جوا موسيقياً يناسب دلالة الحزم والشدة التي يريدها الشاعر .

ويبدو أثر دعم الإيقاع لمضمون الحلم في قول المثقب العبدي[2]:

---

(١) الاصمعيات: ١٣٩ ؛ هو جحل بن نضلة أحد بني عمرو بن عبد بن قتيبة بن معن بن أعصر /ينظر : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، بو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ) لأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت -١٩٩١م: ١٠٢.

(*) النهزة الفرصة /ينظر: الصحاح (نهز): ٩٠٠.

(**) الرعش الجبان /ينظر: الصحاح (رعش): ١٠٠٦.

(٢) المفضليات: ٢٩٤.

الرمـــــــــل

وكـــــلام ســـــيئ قَـــــدْ وُقِـــــرَتْ أُذُنِـــي عَنـــهُ ومـــا بِـــي مِـــنْ صَـــمَمْ

فَتَعَزَّيْـــــتُ خَشـــــاةً أَنْ يَـــــرَى جاهِـــلٌ أَنِّـــي كمـــا كـــانَ زَعَـــمْ

ولـــبَعْضُ الصَّـــفْحِ والإِعْـــرَاضِ عَـــنْ ذِي الخَنَـــا أَبْقَـــى وإِنْ كـــانَ ظَلَـــمْ

ونص المثقب هنا يكشف عن مضمون حماسي يتمثل في ردع الجاهل بالصفح حلماً وتكرماً، وقد جاء النص على بحر الرمل يشيع موسيقى حماسية لعلوّ جرسه[١] فهو هنا يدعم ذلك المضمون الحماسي، ونلحظ أن إيقاع القافية كذلك جاء مناسبا لفعل الحسم الذي واجه به الشاعر ذلك السفيه، فقد جاءت القافية مقيدة[٢]، وهذا الوقف يحاكي حالة الصمت والحسم الذي واجه منطق السفيه .

ومن النصوص الأخرى التي كان للوزن فيها أثر في دعم البعد الدلالي لمضمون الحلم قول الاعشى يتشوق إلى قومه ويفتخر بهم[٣].

خفيـــــف

وَأَبِيّـــونَ مـــا يُســـامونَ ضَـــيماً وَمَكيثـــــونَ وَالحُلـــــومُ وِثـــــاقُ

ففي هذا النصّ يجمع الشاعر بين مشاعر الفخر ومشاعر التشوّق والحنين وقد جاء وزن الخفيف مناسبة لدعم دلالة هذا المضمون فالخفيف بحر يجنح نحو الفخامة [٤] فدلالة نغم الخفيف على الفخر تدعم ذلك المضمون ، كما كان للتحقق اللغوي وماشاكله من إيقاع داخلي داعم لدلالة التشوّق التي جاءت مرادفة للفخر، فلنحظ أن معظم كلمات البيت

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٤٥٠/١.

(٢) القافية المقيدة ماكان رويها ساكن /شرح تحفة الخليل: ٣٦٢.

(٣) ديوان الأعشى: ٢١٥.

(٤) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٣٨/١.

تشتمل على مقاطع مدّ أبيون، يسامون، مكيثون ... ومد الحرف يعطي للكلمة القدرة على التدليل على مشاعر الحزن[١] وبذلك كانت خصوصية اللغة مناسبة لتكوين الوسيط الفاعل لنقل الموسيقى الدالة على مشاعر الشوق والحنين إلى قومه، والمدّ يسهم في نقل مشاعر الحزن والحسرة كلما زادت امكانياته الترنميّة والترنم أكثر ما يتحقق في القافية[٢] ، ففي قول الخنساء في رثاء صخر[٣]:

كامـــل

بِتَغمُّـــــــدٍ مِنـــــــهُ وَحِلـــــــمٍ حـــــينَ يَبغـــــي الحِلـــمَ راجِـــح

فهي هنا تتذكر صفات أخيها متحسرة على تلك الإيام ، خاتمة نهاية البيت بكلمة راجح ذات الإمكانات المدية العالية، فالألف هو أطول حروف المدّ وقع في منطقة القافية ذات الخصوصية الترنمية ،وذلك يجعل تلك الكلمة فاعلة لأداء مشاعر الحزن والحسرة المشوبة بتعظيم الصفة، فوصفها الحلم بكونه راجحا مع مدها بنغمة حزن يشير إلى مشاعر فقدان شيء عظيم.

وقد تتآزر دلالة موسيقى البحر مع دلالة المدّ في منطقة القافية لتؤلف موسيقى تدلل على مشاعر الشاعر وتنقل مراده قال لبيد بن ربيعة[٤].

مجزوء الكامل

قُـــــومي إذَا نَـــــامَ الخَلِـــــيُّ فـــــأبّنِي عَـــــوْفَ الفَواضِـــــلْ

عَـــــوْفَ الفَـــــوَارِسِ وَالمَجَـــــا لِـــــسِ والصَّـــــوَاهِلِ والـــــذَّوابلْ

(١) ينظر: التشكيل اللغوي للشعر: ٨٦.

(٢) ينظر : العمدة: ٣١١/٢.

(٣) ديوان الخنساء: ٣٤٤.

(٤) ديوان لبيد بن ربيعة: ١٣٤-١٣٥.

يـــا عَـــوْفُ أحْلَـــمَ كـــلِّ ذي حلـــمٍ وأقـــولَ كـــلِّ قائِـــلْ

فكثرة الجلجلة والحركات في بحر الكامل[١] تسهم في إشاعة موسيقى مشابهة لجلجة وصخب الندب والبكاء لفقد شخص مهم، كذلك كان المدّ في منطقة القافية فاعلاً في الإيحاء ونقل مشاعر الحزن المشوبة بتعظيم الفقيد تآزر المدّ مع موسيقى البحر في قول زهير بن جناب[٢].

وافـــــــــر

لَقـــدْ علـــمَ القبائـــلُ أنّ ذكـــري بعيـــدٌ فـــي قضـــاعة أو نـــزارِ

فمـــا إبلـــي بمقتَـــدرٍ عليهـــا ولا حلمـــي الأصـــيلُ بمســـتعارِ

والسياق في هذا النصّ سياق فخر وتعظيم لشأن الحلم المنطلق من العزة والقوة لا من الضعف والمراوغة ، وإيقاع الوافر يصلح للفخر ويشتدّ إن أريد به الشدّة [٣] ونغمة الوافر القوية تجعله صالحاً لمضامين القوة والفخر والحماسة[٤] وهذه الموسيقى تسهم في دعم مايريد الشاعر نقله من الصور والمشاعر وتوحي به ، كذلك كان للمدّ دور في الإيحاء بمراد الشاعر فهناك مدّ في منطقة القافية ، وفي حشو البيت الثاني أسهم في دعم دلالة نفي الاقتدار عليه أو مضاهاة حلمه ، وهذا المدّ يسهم في تفخيم المضمون خاصة إذا كان أداء الشاعر موظِفا لتلك الامكانات في مناطق المدّ ليوحي من خلالها بخصوصية حلمه بنغمة فخر وحماسة تدعم دلالة الخصوصية تلك.

---

(١) ينظر المرشد: ٣٠٢/١.

(٢) ديوان زهير بن جناب :٧٤.

(٣) ينظر : فنّ التقطيع الشعري والقافية: ٨٤.

(٤) ينظر : المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/ ٤٠٦.

ومن مضامين الحلم الأخرى التي جاءت إيقاع البحر داعمة لدلالتها قول الأعشى[١]:

متقـــارب

كَـــمْ دونَ بَيْتـــك مـــن مَعْشَـــرٍ صُـــباةِ الْحُلـــوم عُـــداةٍ غُشُـــمْ

إذا أنـــا حييـــتُ لـــم يرجعـــوا تَحيـــتَهم وهُـــم غيـــرُ صـــمّ

في هذا النص يهجو الأعشى قوما ويصفهم بأنهم صباة الحلوم عداة لايتواصلون اجتماعياً ، فهو في هذا النصّ يلح على سرد صفاتهم الذميمة فهو يظهر تعنيفهم بذكر تلك الصفات ،وبحر المتقارب ذو إيقاع يصلح للعنف[٢] كما كان تعداد وسرد تلك الصفات يلائمه بحر المتقارب متدفق النغم [٣] فصفة التدفق تلائم وتوحي بتدفق سرد تلك الصفات الذميمة.

وأسهمت الموسيقى الداخلية في البيان أو الإيحاء بالمشاعر والصور لإيصال المضامين المتنوعة، ومن أنواع هذه الموسيقى التي أدت فعلا في إيصال مضامين الحلم موسيقى التكرار، فالتكرار يحتوي على إمكانات تعبيرية تغني المعنى وترفعه إلى مرتبة الإصالة [٤] ويؤدي التكرار فاعليته عندما يكون مرتبطاً بالمعنى العام [٥].

---

(١) ديوان الأعشى: ٣٧.

(٢) ينظر:فنّ التقطيع الشعري والقافية: ١٨٥.

(٣) ينظر:المرشد إلى فهم أشعار العرب :٤٠٣/١.

(٤) ينظر: قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ،دار العلم للملايين – بيروت ط٥- ١٩٧٨م:٢٦٣.

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢٦٤.

قال الحصين بن حمام المرّي[1]:

بسيط

دفْعنـــاكم بـــالحِلم حتَّـــى بَطِـــرتم وبـالرَّاح حتَّـى كـان دفـع الأصـابعِ

فلمّـــا رأينـــا شـــرَّكم غيـــرَ منتـــهٍ وما غاب من أحلامكم غير راجعِ

مسِسْـــنا مـــن الآبـــاء شـــيئاً وكلُّنـــا إلـى حسبٍ فـي قومـه غيـر واضـعِ

في هذا النص يعرض الشاعر لقضية كان الحلم محورها الرئيس وفكرتها المحورية ، التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة ويكشف اهتمام المتكلم بها [2]،التكرار هنا أسهم في توجيه الاهتمام نحو الحلم وجعل المعاني كلها تدور حوله.

ومن نماذج تكرار كلمة الحلم الأخرى قول عنترة [3].

وافـــــــــر

حلمـــتُ فمـــا عـــرفتمْ حـــقّ حلمـــي ولا حفظـــــتْ عشـــــيرتُكم ودادي

ســـأجهلُ بعـــدَ هـــذا الحلـــمِ حتّـــى أريـــقَ دمَ الحواضـــرِ والبـــوادي

في هذا النص يشكل الحلم محوره الرئيس، فهو الذي جعل الأعداء يطمعون فيه وتسول لهم أنفسهم الاعتداء على الشاعر، لكن الشاعر يبين أنّ خيار الحلم ينتهي عندما يمس قوة الشاعر وكرامته ؛ لذا نلاحظ أن الشاعر هنا يكرر كلمة الحلم وهذا التكرير جاء

(١) الممتع في صنعة الشعر: ٢٣٧.

(٢) ينظر : قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٦.

(٣) ديوان عنترة بشرح الخطيب التبريزي: ٥٨.

داعما لمضمون النص ويسهم في إيصال الدلالة و في التأثير على المتلقي ، فالتكرار يقرع الاسماع بالكلمة المثيرة [١] وكلمة الحلم هنا كانت هي محل الجدال وعليها يدور الحوار .

ومن أنماط الإيقاع الداخلي الأخرى التي وجدناها فاعلة في تكوين النصوص المشتملة عل مضامين الحلم هو إيقاع الطباق، والطباق هو أسلوب يعتمد على الجمع بين الشيء وضده و يكتسب قيمته الإيقاعية من دخوله ضمن أبواب التناسب[٢]، فالتناقض يمثل تناسباً على نحو من الأنحاء[٣] يدخل الطباق في دائرة إيقاع التكرار، والقيمة التكرارية للطباق تأتي من فاعلية الاستدعاء التي تتتصف بها الاضداد ، فالبياض يستدعي السواد ، والحركة تستدعي السكون وهو((ما يعني أنا في مواجهة بناء تكراري من الطراز الأوّل حيث يتردد البياض مرتين والسواد مرتين، وإن خلص التردد التكراري لبنية العمق في حين احتفظ السطح لنفسه بالتقابل الضدي أو بمعنى آخر نقول إن التكرار يتحقق بالنظر إلى عملية الحضور والغياب))[٤] والضدية في النصوص التي عرضت لمضامين الحلم تدور بين الحلم والجهل، فقيمة التضاد بين الحلم والجهل تكوّنت بفضل التواطؤ والاعتياد على جعل الحلم عندما يذكر يستدعي ضده الجهل كاستدعاء الليل للنهار والحركة للسكون ، ومن النصوص التي أدى فيها تضاد الطباق فعله الإيقاعي قول علقمة ابن عبدة [٥].

بســـــيط

والجهــلُ ذو عَــرضٍ لا يســتراد لــه والحلــمُ آونــة فــي النــاس معــدومُ

(١) ينظر :قضايا الشعر المعاصر: ٢٨١.

(٢) ينظر :المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السلجلماسي (ق٨) ، تحقيق : علاء الغزي – مكتبة المعارف – الرباط -١٩٨٠م: ٥١٧.

(٣) ينظر : البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب – لونجمان – القاهرة ط٢-٢٠٠٦: ٣٥٥.

(٤) البلاغة العربية قراءة أخرى: ٣٥٦.

(٥) شرح ديوان علقمة ابن عبدة: ٤٤.

في هذا النص يقابل الشعر بين الحلم وضده الجهل مضمنا كل صورة ضدية صفات تسهم في تحقيق تلك الضدية، فالجهل يعرض للإنسان وهو غير مطلوب ، فهو متوفر موجود ، أما الحلم فهو لا يتوفر على الدوام ، فقد يعدم مع الحاجة إليه ، فهناك إذن ضدية أخرى تضاف إلى ضدية الحلم والجهل المجرّدة ، وهي ضدية حالة العدم والوجود ، وهذا التضاد كسب النص مقداراً من المناسبة ، فالجهل وحالة وجوده عند الحاجة ، تفرض وتستدعي ماينا سبها تضادياً وهو حالة الحلم في ندرة وجودة وعدم حصوله للجميع في كل وقت ، وقد كان لحركة هذا الفعل الإيقاعي على المستوى العميق دور في إيصال المعنى وبيانه ، فمن وظائف الطباق تقوية المعنى(١).

نجد إيقاع التضاد في قول أحيحة بن الجلاح (٢):

الوافـــــــــر

فـــإنّ الجهـــلَ محملـــهُ خفيـــفٌ وإنّ الحلـــــمَ محملـــــه ثقيـــلُ

في هذ النص نلحظ أنّ الشاعر يحاول إيصال حقيقة مفروغ منها بأسلوب بسيط يعكس وضوح تلك الحقيقة، وقد ضمن خطابه هذا أسلوب التضاد بين الحلم والجهل وما يتطلبان من أعباء ، فالتضاد هنا لم يقع بين الحلم والجهل فقط بل بما يتعلق بهما فهناك تضاد بين خفة حمل الجهل وثقل حمل الحلم، ولقد أسهم هذا التركيب في خلق نوع من التقسيم ينتج نوعا من التوازن الموسيقي المتولد عن المقابلة بين شطري البيت(٣) لقد أدى الارتباط بواسطة علاقة التضاد ، والتقسيم الإيقاعي إلى جعل الحقيقتين في البيت تبين وتوضح إحداهما الأخرى وتسهم في ترسيخ معناها في ذهن المتلقي.

---

(١) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٧٧/٢.

(٢) ديوان أحيحة بن الجلاح ، تحقيق : حسين محمد باجودة ، نادي الطائف الأدبي – الرياض -١٩٧٩م : ٧٨.

(٣) ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي:٣٥.

ونجد مظهرا آخر من مظاهر تحقق إيقاع التضاد في قول الخنساء[١].

متقارب

نَلـــــينُ إذا يبتغـــــى لينـنـــــا وإنْ عـــادتِ الحـــربُ عـــدنا لهـــا

ففي هذا النصّ تقابل الشاعرة بين حالة اللين وحالة الشدة ، لكنّها لا تعبر عن الشدة بلفظها بل بمضمونها الحركي(وإن عادت الحرب عدنا لها)، ونلحظ أنّ التضاد هنا جاء مُضمنا في جمل متقابلة، تشتمل على فعل حركي مما منح هذا التضاد بعدا إيقاعياً أبان عن طبيعة المضمون.

ومن مظاهر الايقاع الداخلي التي وردت ضمن مضامين الحلم هو التقسيم غير المسجوع، وتقسيم البيت إلى أجزاء أو جمل موسيقية((بدلاً من الوصف و التعبير عن الحدث بالجمل الطويلة المتصلة يجعل الإيقاع الداخلي للبيت بطيئاً مما يسمح للقاريء أو السامع بوقفة قصيرة بعد كل جزء ليتذوقه ويستجلي معنى الخطاب))[٢] ويمكن أن نتلمس هذا الإيقاع في قول زهير[٣]:

طويل

وفـي الحلـم إدهـانٌ وفـي العفـوِ دربـةٌ وفي الصدقِ منجاةٌ من الشرِّ فاصدُقِ

فهذا النص يعرض لحكم تستوجب من المتلقي وقفة وتأمل ، وقد عم الشاعر هنا إلى جعل نصة مقسما على جمل تعرض كل جملة لحقيقة معينة يمكن الوقوف عن نهايتها وقفة إيقاعية تكون لحظة تأمل واسترجاع لمضمونها كالآتي :

(١) ديوان الخنساء بشرح ثعلب: ١٠٨.

(٢) إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي: ٤٠.

(٣) شعر زهير بن أبي سلمى: ٢٦٢.

في الحلمِ إدهان /

في العفو دربةٌ /

في الصدق منجاةٌ من الشرّ /

فاصدقِ /

فنلحظ أنّ هذا التقسيم الجملي يكون فقرات إيقاعية تسهم في إبطاء حركة النصّ ليتحقق التأمل والتذوق واسترجاع الفكرة ، وهذا يناسب مضمون النص ، فهو يشتمل على حقائق تتطلب التأمل والوقوف عندها .

ومن مظاهر التقسيم الإيقاعي الأخرى ما وجدناه عند الهدم بن امريء القيس يرثي عمرو بن حممه الدوسي [1]:

طـــــــويل

لقـــد ضـــمتِ الأثـــراءُ منـــك مـــرزأً عظـيمَ رمـادِ النـار مشـترك القـدرِ

حليمـــاً إذا مـــا الحلـــمُ كـــانَ حزامـــةً وقوفا إذا كـانَ الوقـوفُ علـى الجمـرِ

نلحظ في البيت الثاني لونا من التقسيم الإيقاعي عن طريق إعطاء فرصة للوقوف بعد الصفة لتبيين مقدارها في المرثي فيكون تقسيم البيت كالآتي :

حليماً/

إذا مالحلمُ كان حزامة/

وقوراً/

إذا كان الوقوف على الجمرِ/

---

(١) معجم الشعراء:٤٩٠.

فهذا التقسيم يسهم في تبيين مقدار الصفة عن طريق الوقفة اليسيرة بعد التنوين ليشير جرس الكلمة إلى مقدارها، ثم يزيد الاستئناف بعد هذه الوقفة في رفع وإعلاء قيمة تلك الصفة، وفي الشطر الثاني، فالتقسيم هنا ينتج حركة متموجة تتناغم مع المدلول الذي يريد الشاعر إيصاله وهو اتصاف المرثي بكمال الصفة في أصعب صور تحققها ، إذ يوحي ذلك التموج الايقاعي الناتج عن التقسيم بصورة ثبات الصفة مع حركة تصاعد الظروف لأصعب مستوياتها.

الخاتمة والنتائج

الخاتمة والنتائج

بعد رحلة التقصي والبحث عن مضامين الحلم ونسيجه الفني توصّل البحث إلى نتائج عدة ألخصها بالنقاط التالية :

- للحلم مدلولات وأبعاد لغوية لم يخرج الاستعمال الاصطلاحي عن إطارها العام ، كذلك كان المفهوم القرآني للحلم مترابطاً مع الأصل المعجمي .
- يشكلّ الحلم نواة مركزية لكثير من القيم في العصر الجاهلي ، فكانت تلك القيم تدور حول تلك النواة فتتشكل أبعادها ومضامينها لتبقى متعالقة معها .
- الحلم قد يأتي عن تمكّن واقتدار وبذلك يكون صفة قوّة تجعله من الصفات اللازمة للسيادة .
- قد يكون الحلم في بعض المواقف ضعفاً أو يوحي بالضعف ؛ لذلك تجنب الشعراء خيار الحلم في بعض المواطن حتّى مع علمهم بأنه الخيار العقلاني الوحيد .
- يكتسب الحلم قيما وأبعادا جديدة بحسب وروده ضمن غرض معيّن ، فتنوع الغرض الشعري الذي يرد ضمنه الحلم يمنحه دلالات وأبعاد زائدة .
- لقد كانت اللغة الشعرية –التي وردت ضمنها مضامين الحلم – هي لغة الشعر الجاهلية المطبوعة التي تسهم في إيصال المضمون بكل وضوح من دون تكلّف أو تعقيد .
- وردت بعض مضامين الحلم ضمن صور شعرية متنوعة ، فكانت تلك الصور فاعلة في بيان تلك المضامين بكل ما تتميز به صور الشعر الجاهلي من التعبير عن المشاهد المحسوس بدون تعقيد في رسم الصور .
- كان الإيقاع بما له من خاصية دلالية فاعلاً في إيصال مضامين الحلم بما يتميز به الإيقاع من فعل دلالي عن طريق الإيحاء الداعم للدلالة التي يريدها الشاعر .

المصـــــادر

المصـــــــــــــادر

القرآن الكريم .

- **الكتـــــب:**

- إبداع الدلالـة فـي الشـعر الجـاهلي ، مـدخل لغـوي أسـلوبي، محمد العبـد ، دار المعـارف – القاهرة – ١٩٨٨م.
- إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) دار المعرفة – بيروت، د.ت.
- الاختيارين ،علـي بـن سليمان بـن الفضـل الأخفش الأصـغر(ت ٣١٥هـ) ، فخـر الـدين قباو ة ، دار الفكر المعاصر، بيروت – ، دار الفكر، دمشق– ١٩٩٩ م.
- أخلاق الوزيرين (الصاحب بن عباد وابن العميد)، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) تحقيق : محمد بن تاويت الطنجي، دار صادر– بيروت –١٩٩٢م
- الأصـمعيات ، الأصـمعي أبـو سـعيد عبـد الملك بـن قريـب (٢١٦هـ) تحقيـق : احمـد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون ،دار المعارف – القاهرة ط٧ –١٩٩٣م.
- الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، سعد إسماعيل شلبي ، مكتبة غريب – القاهرة د.ت.
- اكمال الأعلام بتثليث الكلام ،محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني(ت٦٧٢هـ) ، تحقيق : سعد بن حمدان الغامدي ، جامعة مكة المكرمة – أم القرى –١٩٨٤م .
- الأمالي ، أبو علي القالي (٣٥٦ هـ) ،تحقيق : محمد عبد الجواد الأصمعي ،دار الكتب المصريةط٢ –١٩٢٦م.

- أمـالي المرتضـى ، الشريف المرتضـى (٤٣٦هـ) تحقيـق : محمد أبـو الفضـل إبـراهيم ،دار إحياء الكتب العلمية –١٩٥٤م.
- الامتـاع والمؤانسـة ، أبـو حيـان التوحيـدي (٤٠٠هـ) المكتبـة العصـرية – بيـروت – ١٤٢٤هـ.
- الامثال لابن سلام ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم (٢٢٤هـ) الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث– ١٩٨٠ م.
- أمية بن أبي الصلت حياته وشعره ، بهجة عبد الغفور الحديثي ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي –٢٠٠٩م .
- الأنسان في الشعر الجاهلي ،عبد الغني أحمد زيتوني ،مركز زايد للتراث – الإمارات – ٢٠٠١م .
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين الشيرازي البيضاوي (٦٨٥هـ) ، تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت د.ت .
- الأنوار ومحاسن الاشعار، أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي (٣٧٧هـ) تحقيق :صالح مهدي العزاوي ، وزارة الاعلام – بغداد –١٩٧٦م .
- الايقاع في قصيدة العمود من خلال الخطاب النقدي العربي ، علي عبد رمضان ، البصائر – بيروت –٢٠١٦م .
- البديع في نقد الشعر،أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) تحقيق : أحمد أحمد بدوي، الدكتور حامد عبد المجيد ،الجمهورية العربية المتحدة – الاقليم الجنوبي د.ت.
- البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) تحقيق : داود القاضي ، دار صادر بيروت –١٩٨٨م.
- البطولة في الشعر الجاهلي ، شوقي ضيف ،دار المعارف – القاهرة ط٢ – ١٩٨٤م.
- بلاغات النساء ، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (المتوفى: ٢٨٠هـ ، تحقيق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول– القاهرة – ١٩٠٨ م .

- البلاغة العربية قراءة أخرى ، محمد عبد المطلب – لونجمان – القاهرة ط٢-٢٠٠٦ .
- تاج العروس من جواهر القاموس محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية د.ت .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، مصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي – القاهرة د.ت.
- تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف ،دار المعارف – القاهرة -١٩٩٥م .
- تحسين القبيح وتقبيح الحسن ،أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ) ، تحقيق : نبيل عبد الرحمن حياوي، دار الأرقم بن أبي الارقم – بيروت د.ت .
- تحليل النص الشعري بنية القصيدة ، يوري لوتمان ، ترجمة : محمد فتوح أحمد – دار المعارف – القاهرة ١٩٩٥م .
- تطور الصورة في الشعر الجاهلي ، خالد الزواوي ، مؤسسة حورس – الاسكندرية – ٢٠٠٥م .
- التعريفات ، الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية بيروت – ١٩٨٣ م .
- تفسير أسماء الله الحسنى ، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ) ،تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، د.ت.
- التفسير النفسي للأدب ، عز الدين إسماعيل ،دار العودة – بيروت د.ت.
- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ، أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) ، تحقيق : الدكتور عزة حسن–دار طلاس – دمشق ط٢- ١٩٩٦م.
- التلقي والتأويل في شعر زهير بن أبي سلمى ، عصام لطفي صبّاح ، الأكاديميون للنشر والتوزيع – عمان -٢٠١٧م.
- التمثيل والمحاضرة ، أبو منصور الثعالبي (٤٢٩هـ)، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، الدار العربية للكتاب –ط٢-١٩٨١م .

- تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد بن الأزهري (ت٣٧٠هـ) تحقيق :محمد عوض مرعب دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله شمس الدين القرطبي(٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة –١٩٦٤م.
- جدلية القيم في الشعر الجاهلي رؤية نقدية معاصرة ،بو جمعة بوبعيو ، اتحاد الكتاب العرب – دمشق –٢٠٠٢م .
- جمهرة الأمثال ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى العسكري (٣٩٥هـ) دار الفكر – بيروت د .ت .
- جمهرة اللغة ، : ابن دريد (٣٢١هـ) ، رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت –١٩٨٧م .
- الجود والبخل في الشعر الجاهلي، محمد فؤاد نعناع ، دار طلاس – دمشق –١٩٩٤م .
- حماسة البحتري ، البُحتري (ت ٢٨٤ هـ) ، تحقيق : محمَّد إبراهيم حُوَّر – أحمد محمد عبيد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث – أبو ظبي –٢٠٠٧م .
- حماسة الخالديين ، الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي(٣٨٠هـ) و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (٣٧١هـ) ، تحقيق : محمد علي دقة ، وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية – ١٩٩٥ م .
- الحماسة المغربية ، أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي (ت ٦٠٩هـ) ، تحقيق: حمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت – ١٩٩١م.
- الحماسة المغربية، أبو الحسن البصري (ت : ٦٥٩ هـ) ، تحقيق : مختار الدين أحمد ، عالم الكتب – بيروت د.ت.
- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل – بيروت – ١٩٩٢م.

- الحياة العربية من الشعر الجاهلي،أحمد محمد الحوفي ،مكتبة نهضة مصر – القاهرة ط٢-١٩٥٢م.
- خزانة الأدب ، ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر البغدادي (١٠٩٣م) .
- الخيال في الشعر العربي ، محمد الخضر التونسي ،المطبعة الرحمانية – دمشق د.ت.
- ديوان حاتم الطائي بشرح أبي صالح بن مدرك الطائي ، قدم له علق عليه : حنا نصر الحتى ، دار الكتاب العربي –بيروت –١٩٩٤م.
- ديوان أبي قيس صيفي بن الاسلت الاوسي الجاهلي ، تحقيق :حسن محمد باجوده، دار التراث – القاهرة د.ت.
- ديوان أحيحة بن الجلاح ، تحقيق : حسن محمد باجودة ، نادي الطائف الأدبي – الرياض –١٩٧٩م .
- ديوان الأسود بن يعفر ، صنعة د نوري حمود القيسي ، وزارة الثقافة والاعلام – بغداد د.ت .
- ديوان الأعشى الكبير ،تحقيق :محمد محمد حسين ، مكتبة الآداب – د.ت .
- ديوان الحصين بن حمام المرّي الفارس الشاعر ، تحقيق : شريف علاونة ، دار المناهج – عمان –٢٠٠٢م.
- ديوان الحماسة، لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي (٢٣١هـ) تحقيق :أحمد حسن بسحج ،دار الكتب العلمية –بيروت –١٩٩٨م .
- ديوان الخنساء بشرح ثعلب ، تحقيق :أنور أبو سويلم ، دار عمان – الاردن –١٩٨٨م .
- ديوان السموأل ، تحقيق : واضح عبد الصمد ، دار الجيل – بيروت – ١٩٩٦م.
- ديوان الشنفرى ،تحقيق : إميل بديع يعقوب ،دار الكتاب العربي –بيروت ط٢-١٩٩٦م.
- ديوان المثقب العبدي، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية –١٩٧١م .
- ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف – القاهرة – ط٢-د.ت.

- ديوان امريء القيس برواية الاعلم ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف – بيروت –١٩٨٤م .
- ديوان أوس ابن حجر ، تحقيق : محمد يوسف نجم ، دار صادر – بيروت ط٢– ١٩٧٩م.
- ديوان تأبط شرا ،تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة – بيروت –٢٠٠٣م.
- ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق : عمر عبد الرسول ،دار المعارف – القاهرة د.ت.
- ديوان زهير بن جناب الكلبي ،صنعة محمد شفيق البيطار ، دار صادر –بيروت –١٩٩٩م.
- ديوان سلامة بن جندل ، صنعة محمد بن الحسن الأحول ، تحقيق :فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢–١٩٨٧م.
- ديوان شعر المتلمس الضبعي ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، جامعة الدول العربية – ١٩٧٠م .
- ديوان طرفة بشرح الاعلم ، تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال ، المؤسسة العربية – بيروت ط٢– ٢٠٠٠م.
- ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق : محمد مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية – بيروت– ٢٠٠٢م .
- ديوان طفيل الغنوي بشرح الأصمعي ، تحقيق : حسّان فلاح أوغلي ، دار صادر – بيروت –١٩٩٧م .
- ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر – بيروت –١٩٧٩م.
- ديوان عدي بن زيد العبادي ، تحقيق : محمد جبار المعيبد ،وزارة الثقافة – بغداد – ١٩٦٥م.
- ديوان عروة بن الورد ، دراسة وشرح : أسماء أبو بكر محمد،دار الكتب العلمية – بيروت –١٩٩٨م.
- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ، تحقيق :أيمن زيدان ، النادي الادبي – الرياض – ١٩٩٢م .

- ديوان عنترة العبسي، تحقيق : محمد سعيد مولوي ، المكتب الاسلامي – القاهرة د.ت .
- ديوان قيس ين الخطيم ، تحقيق:إبراهيم السامرائي ،أحمد مطلوب ، مطبعة العاني – بغداد ١٩٦٢م .
- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق : حنا نصر ، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٩٣م.
- ديوان معن بن أوس المزني ، صنعة ، نوري حمودي القيسي ، حاتم صالح الضامن ، دار الجاحظ – بغداد –١٩٧٧م .
- ديوان مهلهل بن ربيعة ، تقديم : طلال حرب ،الدار العالمية – بيروت د.ت
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ) مؤسسة الأعلمي – بيروت – ١٤١٢هـ .
- رسائل الجاحظ ،أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) تحقيق : عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي – القاهرة د.ت.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ) ،تحقيق: حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة – بيروت –١٩٩٢.
- زهر الآداب وثمر الألباب ، الحُصري القيرواني (المتوفى: ٤٥٣هـ) ، دار الجيل – بيروت– د.ت.
- شر ح ديوان الحماسة ، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ هـ)، تحقيق : غريد الشيخ ، دار الكتب العلمية – بيروت –٢٠٠٣م.
- شرح اختيارات المفضل ، الخطيب التبريزي(٥٠٢هـ)، تحقيق : فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية – بيروت ط٢– ١٩٨٧م .
- شرح اختيارات المفضل ، الخطيب التبريزي، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الكتب العلمية – بيروت ط١–١٩٨٧م.

- شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري (١٢٧٥هـ) تحقيق : عبد الستار أحمد فراج، دار العروبة – القاهرة د.ت.
- شرح المعلقات السبع، حسين بن أحمد بن حسين الزَّوْزَني، (ت ٤٨٦هـ) ،دار إحياء التراث العربي– بيروت –٢٠٠٢م.
- شرح تحفة الخليل في العروض والقافية، عبد الحميد الراضي ،دار الرشيد –بغداد – ١٩٦٨م .
- شرح ديوان الحماسة للتبريزي ،يحيى بن علي التبريزي (٥٠٢هـ) ،دار القلم – بيروت – د.ت .
- شرح ديوان علقمة بن عبدة الفحل ، الاعلم الشنتمري (٤٧٦هـ) ،تحقيق : حنا نصر ، دار الكتاب العربي – ١٩٩٣م .
- شرح كتاب الحماسة للفارسي ، أبو القاسم زيد بن علي الفارسيّ (المتوفى: ٤٦٧ هـ) المحقق: د. محمد عثمان علي ،دار الأوزاعي – بيروت د.ت .
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ، يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة –بغداد –١٩٨٦م.
- شعر الحرب عند العرب ، طراد الكبيسي ، دار الشؤون الثقافية – بغداد –١٩٨٣م .
- شعر زهير بن ابي سلمى، تحقيق : فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة – بيروت ط٣– ١٩٨٠م .
- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه ، اليزابيث درو ، ترجمة : محمد إبراهيم الشوش ، مكتبة منيمة – بيروت –١٩٦١م .
- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ) ، تحقيق :أحمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة –١٩٨٢م .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، يوسف خليف ،دار المعارف – القاهرة ط٣ د.ت.
- الشعرية العربية، أدونيس ،دار الآداب – بيروت ط٢– ١٩٨٩م .

- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)المحقق: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله ، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية)
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ) ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين – بيروت – ١٩٨٧م.
- الصورة البيانية في الموروث البلاغي، حسن طبل، مكتبة الإيمان – القاهرة – ٢٠٠٥م.
- الصورة الشعرية سيسيل دي لونس، ترجمة :أحمد نصيف الجنابي ، مالك ميري ،سلمان حسن إبراهيم ، دار الرشيد – بغداد –١٩٨٢م.
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ط٢– ١٩٩٢م.
- الصورة الفنية في شعر أبي تمام، عبد القادر الرباعي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت –١٩٩٩م.
- الصورة في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثني الهجري دراسة في أصولها وتطورها ، علي البطل ، دار الأندلس – ط٢ – ١٩٨١م.
- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي (٢٣٢هـ) ، تحقيق : محمود محمد شاكر،دار المدني – جدة د.ت.
- العشرات في اللغة ،محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بغلام ثعلب (٣٤٥هـ) ، تحقيق، يحيى عبد الرؤوف جبر ، المطبعة الوطنية – عمان .
- العقدالفريد، ابن عبد ربه الاندلسي (٣٢٨هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٠٤هـ.
- علم اجتماع الأدب منهج سوسيلوجي في القراءة والنقد ، أنور عبد الحميد الموسي ،دار النهضة العربية د.ت.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، بن رشيق القيرواني(٤٦٣ هـ) تحقيق :محمد محي الدين عبد الحميد – دار الجيل – بيروت –١٩٨١م.

- عيار الشعر ، ابن طباطبا العلوي (٣٢٢هـ) تحقيق : عبد العزيز ناصر المانع ،دار العلوم – الرياض –١٩٨٥م .
- عيون الأخبار، قتيبة بن مسلم الدينوري(٢٧٦هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٨هـ.
- الفاضل ، محمد بن يزيد المبرد(٢٨٥هـ) تحقيق : عبد العزيز الميمني ، دارالكتب المصرية – القاهرة ١٩٨٥م.
- الفروسية في الشعر الجاهلي نوري حمودي القيسي، مكتبة النهضة – بغداد –١٩٦٤م.
- فن التقطيع الشعري والقافية ، صفاء خلوصي ، مكتبة المثنى – بغداد ط٥ –١٩٧٧م.
- فن الشعر ، إحسان عباس ، دار الثقافة – بيروت ط ٣ د.ت.
- في التشكيل اللغوي للشعر ، محمد عبدو فلفل ،الهيئة السورية العامة للكتاب – دمشق – ٢٠١٣م.
- في تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي ، مكتبة دار التراث – القاهرة –١٩٩١ م.
- قصة الأدب في الحجاز، عبد الله عبد الجبار ، وعبد المنعم خفاجي ،مكتبة الكليات الأزهرية –القاهرة د.ت.
- قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة ،دار العلم للملايين – بيروت ط٥– ١٩٧٨م.
- القيم الخلقية الاجتماعية للشعر العربي قبل الاسلام من خلال تقويم فني المديح والهجاء، عبد الحسين الحداد ، ضفاف – الامارات العربية –٢٠١٦م
- كتاب الصناعتين ، أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ،المكتبة العصرية – بيروت – ١٤١٩ هـ .
- كتاب العين ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال د.ت.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم جار الله الزمخشري(٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي – بيروت – ١٤٠٧هـ.
- كليلة ودمنة ،عبد الله بن المقفع (١٤٢ هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة – ١٩٣٧.
- لباب الآداب، أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ،مكتبة السنة – القاهرة ط٢– ١٩٨٧م.
- لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الابداعية ،السعيد الورقي ،دار المعارف – القاهرة –١٩٨٣م.
- اللغة وبناء الشعر، محمد حماسة عبد اللطيف ،دار غريب – القاهرة –١٩٩٢م .
- مباديء النقد الأدبي والعلم والشعر، أ.أ رتشاردز ، ترجمة : محمد مصطفى بدوي –المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة –٢٠٠٥م.
- المبهج في تفسير اسماء شعراء ديوان الحماسة ، أبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ) تحقيق : مروان العطية، شيخ الزايد ، دار الهجرة – دمشق – ١٩٨٨م.
- مجمع الأمثال، الميداني (٥١٨هـ) ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة – بيروت د.ت.
- مجمل اللغة ، أحمد ابن فارس(٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة – بيروت–١٩٨٦م.
- المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيد(ت: ٤٥٨هـ)تحقيق : عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت– ٢٠٠٠ م.
- المخصص ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ)المحقق: خليل إبراهم جفال ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٩٩٦م .
- المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، عبد الله الطيب المجذوب ، مطبعة حكومة الكويت ط٣– ١٩٨٩م .
- المصباح المنير، أحمد بن علي الفيوم (٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت د. ت.

- المصون في الأدب ، أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (المتوفى: ٣٨٢هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون ، مطبعة حكومة الكويت ط٢-١٩٨٤ م .
- المعاني الكبير في أبيات المعاني، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(٢٧٦هـ) تحقيق : المستشرق سالم الكرنكوي، عبد الرحمن بن يحيى بن علي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن ١٩٤٩م.
- معجم مقاييس اللغة ،أحمد ابن فارس (٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – القاهرة – ١٩٧٩م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القران الكريم ، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب – القاهرة–٢٠١٠م.
- معجم الشعراء، المرزباني (٣٨٤هـ) تحقيق : ف . كرنكو ،دار الكتب العلمية – بيروت ط٢- ١٩٨٢م.
- معجم ديوان الأدب، الفارابي (٣٥٠هـ) تحقيق : أحمد مختار عمر ، مؤسسة دار الشعب – القاهرة – ٢٠٠٣م.
- مفاتيح الغيب ،أبو عبد الله محمد فخرالدين الرازي (٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت–١٩٩٩م.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جواد على ، دار الساقي – بيروت ط٤ – ٢٠٠١م.
- المفضليات ، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (١٦٨هـ) تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف – القاهرة د.ت .
- المقتصد الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(٥٠٥هـ) تحقيق: سام عبد الوهاب الجابي، الجفان والجابي – قبرص–١٩٨٧م.

- الممتع في صنعة الشعر، عبد الكريم النهشلي القيرواني(٤٠٥هـ)، تحقيق: لدكتور محمد زغلول سلام، منشأة المعارف- الإسكندرية د.ت.
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع ، أبو محمد القاسم السلجلماسي(ق٨)، تحقيق : علاء الغزي – مكتبة المعارف – الرباط –١٩٨٠م.
- موائد الحيس في فوائد القيس ،سليمان بن عبد القوي الصرصري(٧١٦هـ) تحقيق : مصطفى عليان ، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية – الكويت ١٤٣٥هـ.
- المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ) تحقيق :الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل – بيروت –١٩٩١م .
- موسيقى الشعر ، إبراهيم أنيس ، مكتبة الانجلو مصرية – القاهرة ط٢- ١٩٥٢م.
- نثر الدر في المحاضرات ، أبو سعد الآبى (٤٢١هـ)، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية – بيروت- ٢٠٠٤م.
- نضرة الإغريض في نصرة القريض، المظفر بن الفضل العلوي(٦٥٦هـ)، تحقيق :نهى عارف الحسن، مجمع اللغة العربية – دمشق، د.ت.
- نظرية الأدب، رينيه ويليك ، أوستن وارن، ترجمة : عادل سلامة ، دار المريخ – الرياض –١٩٩٢م .
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر (٣٣٧هـ) تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ،دار الكتب العلمية – بيروت د.ت .
- نقد النثر، قدامة بن جعفر بن قدامة (٣٣٧هـ) ، دارالكتب العلمية – بيروت –١٩٨٠م .
- النكت والعيون ،أبو الحسن الماوردي (٤٥٠هـ) ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

المجلات والدوريات :

- شـعر الفنـد الزمـاني، تحقيـق :حـاتم صـالح الضـامن، مفـروز مـن مجلـة المجمـع العلمي العراقي، ج٤، مج٣٧ ، ١٩٨٦.

- الحلـم فـي الشـعر الجـاهلي، عبـد الـرزاق خليفـة الـدليمي، مجلـة المـورد، عـدد ٣، مج٤، ٢٠٠٤.

The Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Maysan / Faculty of Education

The department of Arabic language

Patience inpre- lslami cportry, a study in the Artistic Content and Tex ture

A student's

Maysoon Jhav Abdukareem

To the Council of the College of Education - University of Maysan it is part of the requirements for obtaining a Master's degree in Arabic language and literature

Supervision

Dr.Jebaar Abaas Al-Lami

2020 A.D *1441 A.H*

Abstract

Pre-Islamic poetry - despite the large number of studies - continues to provide us with fertile new spaces and areas for the lesson, for it is the text that has conveyed the feelings, sentiments and values of an entire nation for many. years, and his research stimulates the potential of these feelings and values. Therefore, studying Arab values and ethics based on the texts of poetry was essential for those seeking to discover the content and dimensions of these values, and on the basis of this and my desire to reveal an important value - in the life of Arabs in the pre-Islamic era - which has an impact on the direction of Arab life and has a central branch of which most Arab values, which are worth a dream; So I did my study titled “Dream in Pre-Islamic Poetry, a Study of Content and Artistic Fabric”. The study consisted of an introduction and three chapters, in the preface I studied the concept of dream in language and convention.

Regarding the first chapter, I have studied the implicit relationship of moral values with the value of the dream. In this chapter I have presented an introduction to pre-Islamic poetry and the nature of values. Then, I distinguished each value with an independent point which shows its relation with the value of the dream. I have studied the value of generosity, patience, courage, loyalty, chastity, justice and wisdom. .

As for the second chapter, I studied the content of the dream and made three sections of it: the first section examined the content of the

dream as being able and empowered, and the second study examined the content of the dream as a weakness, and the third section examined the diversity of dream dimensions along with the diversity of purpose.

As for the third chapter, I devoted it to the technical study, and I made three sections: The first subject studied the content of the dream through the characteristics of poetic language, and the second study studied the effectiveness of the poetic image in the presentation of the content of the dream, and the third topic was the effectiveness of the rhythm in the transmission of the content of the dream, then put a conclusion For the most important results of the research, it is useful to refer to the most important sources and references on which I relied in my study, such as collections of pre-Islamic poetry and their commentaries, and books of literature in particular which presented aspects of the common moral values of that time, as well as some earlier studies which focused on the study of Arab values as a study. Boujmaa Boubaiou, The Dialectic of Values in Pre-Islamic Poetry, The Study of Muhammad Fu'ad's Generosity and Mint Avarice in Pre-Islamic Poetry, and the Study of Abd al-Ghani Ahmad Ziyouni, l 'human in pre-Islamic poetry

This trip is not without some difficulties, represented by the dispersion of the material in a large part of the couches, which requires to extract it to present it for the lesson, time and effort, as well as the difficulty of explaining or to interpret many pre-Islamic verses, which

forced me to go back to some Arabic dictionaries to know their meanings.

In conclusion, I would like to extend my thanks to my supervisor, Professor Jabbar Abbas Al-Lami, who provided advice, guidance and guidance despite the difficult circumstances he faced and who was the mentor and educator who directed it. I also thank the chair and the members of the discussion committee.